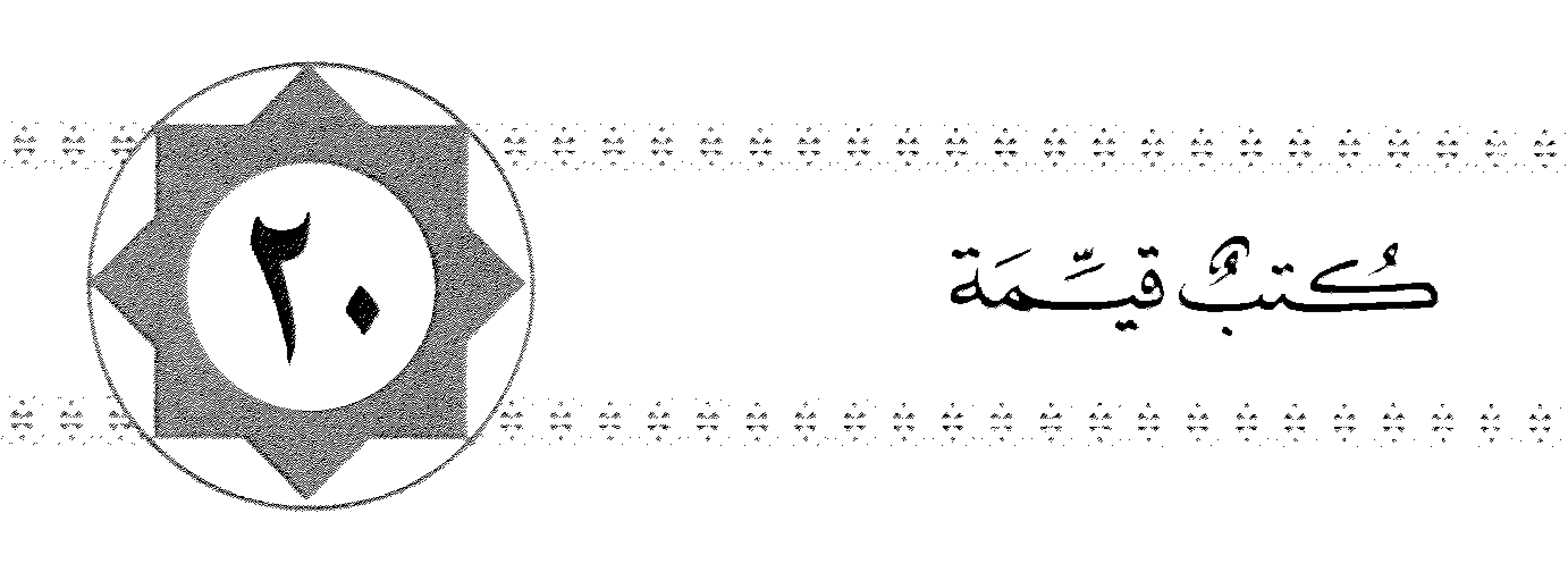



# القدس

## مَدِينَةُ اللهِ .. أَمْ مَدِينَةُ دَاوُود؟

بقلم

الدكتور حسن ظاظا

دار القلم
دمشق
الدار الشامية
بيروت

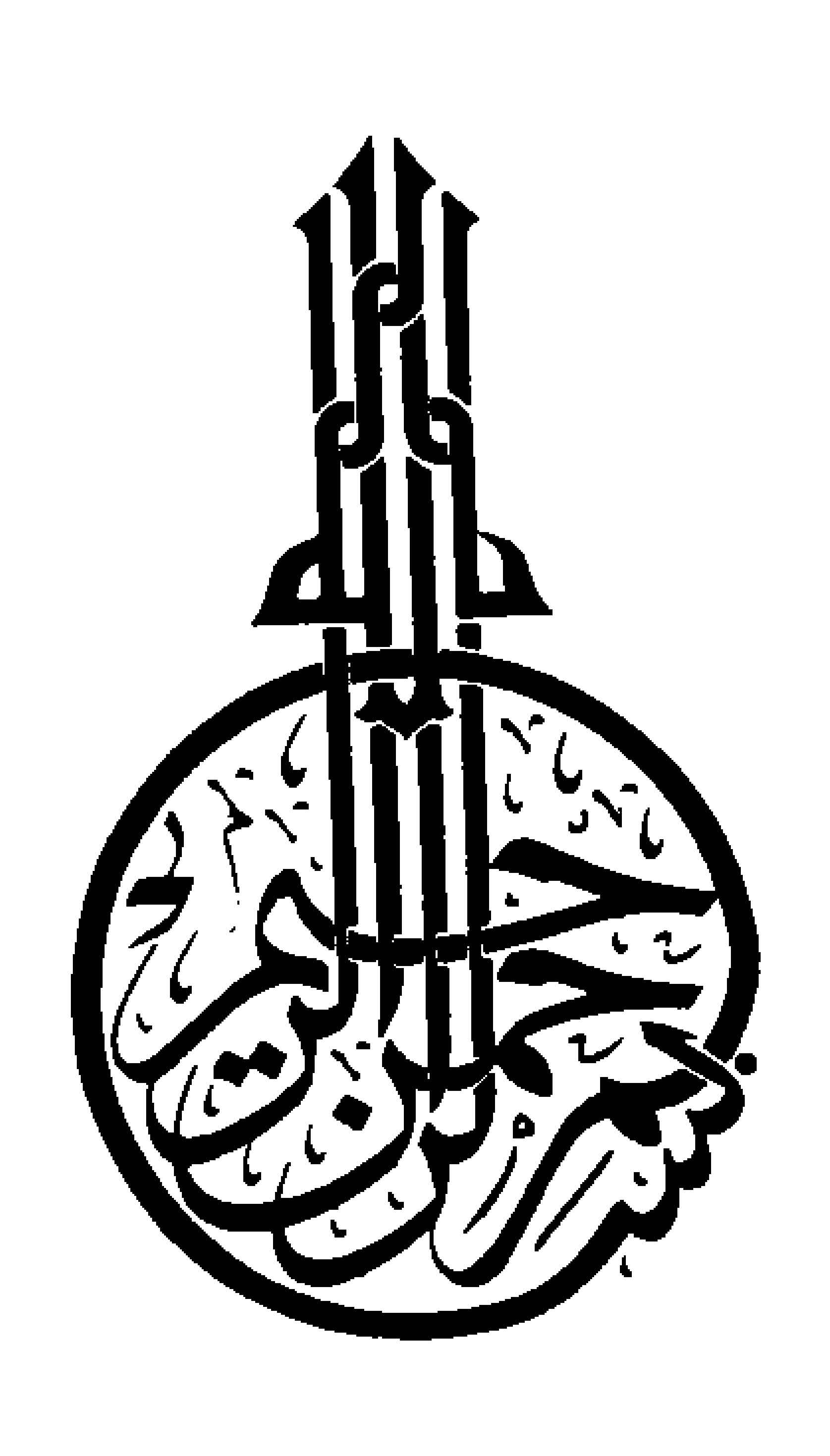
اهداءات ٢٠٠١

ا.راضى جودة

الإسكندرية

# القُدس

مَدِينَةُ اللهِ.. أَمْ مَدِينَةُ داوُود؟


بسم الله الرحمن الرحيم

كتب قيمة

(٢٠)

# القدس

## مدينة الله .. أم مدينة داود؟

بقلم

الدكتور حسن ظاظا

دار القلم
دمشق

الدار الشامية
بيروت

الطّبْعَة الأولىٰ
١٤١٨هـ - ١٩٩٨م



تُطلب جميع كتبنا من :
دَارُ القَلم - دمشق : ص.ب : ٤٥٢٣ - ت : ٢٢٢٩١٧٧
الدّار الشّاميّة - بيروت - ت : ٦٥٣٦٥٥ / ٦٥٣٦٦٦
ص.ب : ٦٥٠١ / ١١٣

توزّع جميع كتبنا في السّعوديّة عن طريق
دَارُ البَشير - جدّة : ٢١٤٦١ - ص.ب : ٢٨٩٥
ت : ٦٦٠٨٩٠٤ / ٦٦٥٧٦٢١

بسم الله الرحمن الرحيم

## مقدمة الناشر

القدس مدينة الله.

نريد أنها مدينة الإيمان والتوحيد، ومدينة الرسل والرسالات، اختيرت على عِلْم بل قبل الزمان في الأزل لتحمل هذه الأمانة، ولتؤدي هذه الرسالة، والله أعلم حيث يجعل رسالته!!

شَرُفَت أرضُها بأن وطئتها أقدام الأنبياء الكرام، ودَرَج في ربوعها الصدِّيقون والصالحون، وتعطَّرت أنفاسها بعَبَق الوحي الإلـٰهي الذي حمله جبريل الأمين إلى الأنبياء والمرسلين، الذين قاموا على أرضها يَدعون إلى الله ويبلِّغون رسالاته.

قام فيها أبو الأنبياء إبراهيم الخليل عليه السلام.

وقام فيها: لوط، وإسماعيل، وإسحاق، ويعقوب عليهم السلام.

ثم دخلها يوشع خليفة موسى عليهما السلام.

ثم قام فيها النبيان العظيمان: داود وسليمان، يبلّغان دعوة الله، ويقيمان فيها حكمه وشريعته.

ثم كانت مدينه الأنبياء: إلياس، وإليسع، وأشعيا، وأرميا، وحزقيال، ودانيال، وغيرهم ممن لم يسجل لنا التاريخ أخبارهم، صلوات الله وتسليماته عليهم جميعاً.

وقام فيها بعد هؤلاء: زكريا، ويحيى، وعيسى بن مريم، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

وأخيراً شعَّت فيها أنوار خاتم المرسلين، وإمام النبيِّين محمد ﷺ، فكانت رسالته خاتم الرسالات، لذا وُضعت هذه المدينة تحت رعاية هذه الرسالة الخالدة، وأدّت هذه الرسالة وعلى مدى مايزيد على ثلاثة عشر قرناً[1] الأمانة التي حملتها أداءً ممتازاً، وحافظت على نشر دين الله، ورَعَتْ حقوق الآخرين، فصينت الكنائس ـ خصوصاً كنيسة القيامة ـ ولم يحصل أي اعتداء على بيتٍ من بيوت العبادة، ولم يُؤذَ أحدٌ

---

(١) أسقطنا من التاريخ الإسلامي الخالص لهذه المدينة القرن الذي عاشته تحت حكم الصليبيين.

ممن عـاش في هذه المدينـة في دينـه أو عرضه، أو أي أمر من أموره.

منذ أن دخل المسلمون بقيادة خليفتهم عمر بن الخطاب مدينة القدس في عام ١٦ للهجرة الموافق لعام ٦٣٧م، ومنذ أن كتب الخليفة لأهلها العهدة العمرية التي أمَّنَهُم فيها على دينهم وبيوت عبادتهم وأمور حياتهم. . منذ ذلك التاريخ وهذه المدينة المقدَّسة تعيش أيام السِّلم والسلام، وتُرعى فيها الحقوق، وتُصان الذمم، ويعيش أهلها آمنين مطمئنين، يُصدَح فيها آناء الليل وأطراف النهار بنداء: الله أكبر. . من فوق منائر المساجد، وتُدقُّ فيها أجراس الكنائس، ويغشى كل إنسان بيت عبادته، ويقيم شعائر دينه بحرية تامة، ويعيش الجميع تحت رعاية الحاكم المسلم آمنين على دينهم ودنياهم.

واستمر هذا الحال بهذه المدينة بضعة قرون، ثم عكَّر صَفوَ الحياة فيها احتلال الصليبيين لها الذي استمر من عام ٤٩٢ ـ ٥٨٣هـ/ ١٠٩٩ ـ ١١٨٧م. ثم أراح الله هذه المدينة من شرّ هؤلاء الفجَّار، وتطهَّرت الأرض من آثامهم، وعادت القدس إلى عَدل الإسلام ورحمته، عادت مدينةً لله ولرسله.

واستمر بها هذا الحال بضعة قرون أخرى، وعاش أهلها من غير المسلمين في بحبوحة وافرة من سماحة الإسلام، واستمرت مدينة مفتوحة، يدخلها المسيحي القادم من بلاد الدنيا الواسعة ليزور مقدَّساته، ويدخلها اليهودي متبركاً بذكريات قديمة طواها التاريخ، وَبعُدَ بها العَهْد. وقد عاش فيها عدد من اليهود وفي كل عهودها آمنين مطمئنين، لم يلحق بهم ضَيم ولا ظلم، بفضل رحمة الإسلام، ورعايته لهم، وهم الذين سُمُّوا مع النصارى في شريعته: أهل الكتاب.

عاشت القدس بعد تطهيرها من الاحتلال الصليبي مايزيد على سبعمئة عام مدينةً لله، في ظل الحكم الإسلامي، ثم ابتليت ـ هي وكل أرض فلسطين ومنذ بداية القرن العشرين الميلادي ـ بغارة عدوانية شرسة وذلك حين تمَّت الصفقة الشيطانية بين إمبراطورية الشر والظلم بريطانيا، وبين الملأ من يهود، على أن يستوطن اليهود في فلسطين، وأن يعودوا إليها، ويتجمعوا فيها، ويجدِّدوا دولتهم التي مُحِيت منذ ألفي سنة!!

ومنذ أن تمَّت هذه الصفقة، وأُبرم صَكّها بموجب وعد بلفور، والعدوان مستمر على أرض فلسطين كلها عموماً، وعلى القدس خصوصاً.

لقد اقتطع اليهود جزءاً كبيراً من القدس في عام ١٩٤٨م حينما أعلنوا عن قيام دولتهم الباغية، ثم أتمُّوا الاستيلاء على هذه المدينة في عام ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م، في حرب الأيام الستة؛ وبدأ عقب هذه الحرب مسلسل الفساد والإجرام في هذه المدينة المقدَّسة، وبدأ التخطيط ومعه العمل لتهويدها، ولإزالة طابعها الإسلامي والمسيحي الذي استمر قروناً طويلة؛ وتطاول اليهود على المسجد الأقصى المبارك فأحرقوه في عام ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م، وبدؤوا يخططون لاقتلاعه من جذوره، وإحلال ما يسمَّى بالهيكل الثالث مكانه!!

* * *

إن التاريخ يحكي لنا أن اليهود عاثوا فساداً في مدينة القدس بعد داود وسليمان زمناً طويلاً. . لقد أقاموا التماثيل الوثنية وعبدوها في مدينة الله، وقتلوا الأنبياء الذين نَهَوهم عن ذلك وأسكتوهم، وملؤوا أرض المدينة بالرجس والزنى والموبقات، ولم يرعَوْا أيَّ حرمة لله ولرسله، ولآيات التوراة التي أُنزلت لتهديهم سواء السبيل.

ولينظر القارئ الكريم في الأسفار المقدَّسة عند هؤلاء، ليقرأ أسفار الملوك وأسفار الأنبياء، حتى يرى صدق ما أقول!!

إنَّ هذه المدينة المباركة قد عجَّت إلى الله شاكيةً فجور اليهود فيها، وإن المسجد الذي بناه سليمان عليه السلام لعبادة الله، والذي أصبح فيما بعد اسمه الهيكل، قد أصبح بيتاً للأوثان وللفجور، وللصفقات التجارية المحرَّمة، حتى تمَّ هدمه المرة بعد الأخرى فوق رؤوسهم؛ بل حتى تم هدم المدينة بكاملها وإبادة اليهود منها وتغيير اسمها على يد الرومان بعد المسيح عليه السلام بقليل، في عهد الإمبراطور الروماني طيطس عام ٧٠م أولاً، ثم في عهد الإمبراطور هادريان في عام ١٣٥م، وتمَّت بذلك نبوءة المسيح المسجَّلة في إنجيل متّى:

«يا أورشليم، يا أورشليم، ياقاتلة الأنبياء وراجمة المرسلين، كم مرة أردت أن أجمع أولادك كما تجمع الدجاجة أفراخها، ولم تريدوا، هُوَ ذا بيتكم يُترك لكم خراباً»[1].

* * *

---

(١) إنجيل متّى: ٢٣/ ٣٨ ـ ٣٩.

ودار الزمان دورته، وعاد اليهود إلى أداء الدور الذي يجيدونه دائماً وأبداً. عادوا إلى الفساد، بل عادوا إلى الفساد في الأرض التي أخرجهم الله منها: أرض فلسطين، وساقوا أنفسهم بحماقة لا يُحسدون عليها إلى مَصْيدة القَدَر الإلـٰهي المرّ، الذي استمر يحصدهم ويبيدهم ما بين حين وآخر طيلة ما يقرب من ثلاثة آلاف سنة. وصدق الله العظيم الذي تَهدَّدهم وأنذرهم حين قال لهم: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ﴾؛ ولكن اليهود لا يفهمون، ولا يعقلون!!

عاد اليهود للإفساد في فلسطين وفي أرض القدس خاصة، الأرض التي أذنَ الله أن يُقام فيها المسجد الأقصى، وأن يُذكر فيه اسمه الكريم، عادوا يخطَطون لجعل المدينة مدينة يهودية خالصة ولهدم المسجد الأقصى، وإقامة الهيكل المندثر مكانه!!

عادوا ينادون بأن (أورشليم عاصمة إسرائيل وإلى الأبد).

ونحب أن نسأل هؤلاء الحمقى المتطاولين:

من الذي بيده أمر (الأبد)؟

عصابة الشر التي تتكون منهم؟ أمريكا؟ دول أوروبا؟ دول العالم أجمع؟.

كلا، ثم كلا.

إنَّ أمر الأبد لله وحده، فهو الذي يُديل الدول، ويغيِّر الأحوال، وهو الذي يُعزُّ ويُذل، ويحيي ويميت، وهو القاهر فوق عباده، وهو الحكيم العليم، الحيُّ القيوم!!

* * *

إن اليهود عامة، ودولة إسرائيل خاصة غير مؤهَّلين لرعاية الآخرين وصيانة دمائهم وأعراضهم وأموالهم ودور عباداتهم.. فهم وحدهم شعب الله المختار، وغيرهم (جوييم) قذرين يستحقون كل هوان!!

إنّ الأمة التي أهَّلها الله لرعاية الحقوق وصيانة الدماء وحماية المقدسات، هي الأمة التي قال لها: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ [آل عمران: ١١٠].

إن العرب المسلمين هم وحدهم المؤهَّلون لرعاية مدينة القدس، ففي ظل حكمهم يستطيع المسيحي أن يدخل إلى كنيسته، ويستطيع اليهودي أن يقف أمام حائط المبكى، بكل

أمن وطمأنينة، لا يخشى أيٌّ منهما ظلماً، ولا يرهقه عدوان.

لقد سئل الرئيس اللبناني الأسبق (سليمان فرنجية) ـ وكان السائل السياسي اليهودي الأمريكي (كيسنجر) ـ عمّن يجب أن تكون القدس تحت رعايته، فأجاب: العرب المسلمون!!

ثم أضاف:

المسيحيون لا يؤمنون بنبوة محمد؛

واليهود لا يؤمنون بنبوة المسيح ولا بنبوة محمد؛

والمسلمون يؤمنون بنبوة موسى وعيسى وسائر الأنبياء!!

فهم وحدهم المؤهلون لرعاية هذه المدينة[1].

وصَدَقت كلمة الرئيس اللبناني سليمان فرنجية.

وكلمة أخرى أجد من الضروري أن أسجلها:

إن من سنن الله عز وجل: أن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده.

ولقد أورث الله بني إسرائيل أرض فلسطين والقدس في

---

(١) انظر جريدة الشرق الأوسط في أوائل عام ١٩٩٧.

تاريخهم القديم، بشرط الطاعة وإقامة الدين، فلما أخلُّوا بالشرط، ولمَّا أُمهلوا طويلاً ولم يرعَوُوا، ولما اعتدوا على دين الله وأنبيائه، طُرِدوا من فلسطين وإلى آخر الزمان، ولحقهم غضب الله الدائم.

ثم أورث الله المسلمين هذه الأرض المباركة، فأزاحوا عنها الرومان بعد أن مكثوا فيها ما يزيد على ستة قرون، ولم يُخِلَّ المسلمون بشرط الوراثة، فاستحقوا أن تكون لهم، وأن يرعَوْا مدينة الله ورسله.

ثم، لماذا يطالب اليهود بالقدس التي يقولون إنهم دخلوها فاتحين قبل ثلاثة آلاف سنة، وملكوها زماناً، ثم أُخرجوا منها؟[1]

فالقدس كانت قائمة قبلهم بزمان لا يعلمه إلا الله، ثم استمر قيامها بعد أن طُرِدوا منها ـ وإلى يوم الناس هذا ـ ألفي سنة!!

---

(١) على الإنسان العاقل البصير أن لا يغتر بعودة اليهود إلى فلسطين، فهؤلاء ومَنْ وراءهم سوف لا يغلبون قدر الله الذي توعَّد اليهود بقوله: ﴿وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا﴾. نعم لقد عادوا لينفذ فيهم قَدَرٌ إلـٰهي آخر!!.

فمن أين لهم صكُّ الملكية الأبدي؟ :

من الله؟ هم يكذبون على الله وعلى رسله، وأسفارهم تشهد بكذبهم!!

من التاريخ؟ التاريخ الصحيح يصفعهم على وجوههم ويكذِّبهم!!

أم أنهم يستندون إلى الصكِّ العدواني الاستعماري الذي وهبته لهم بريطانيا فيما يسمى بـ(وعد بلفور). ذلك الوعد الذي بذلت بريطانيا أقصى ما عندها من جهد لتحويله إلى واقع، وأيدتها في ذلك تأييداً تاماً الولايات المتحدة الأمريكية، حتى إذا ما أثمر هذا الوعد قيامَ دولة البغي والعدوان، أخذت هاتان الدولتان على عاتقيهما تأييد هذه الدولة الباغية ومناصرتها بغير حدود!![١].

إن هذا الظلم الذي نتج عن ذلك الصك العدواني الظالم،

---

(١) هذا الكلام لا يقلِّل من شأن التأييد والمؤازرة بالسلاح والمال الذي نالته دولة إسرائيل من دول أوروبا الأخرى، لاسيما: فرنسا وألمانيا.

سوف لا يدوم، فالظلم مرتعه وخيم، والظالم سوف يلقى عقابه مهما كان قوياً، والله عز وجل يقول: ﴿وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ أَهْلَكْنَٰهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا﴾ [الكهف: ٥٩].

إن أرض كنعان، وإن مدينة أورشليم ـ القدس ـ كانت معمورة بقبائل العرب الكنعانيين قبل أن يستوطنها بنو إسرائيل قديماً، وإن النبي موسى عليه السلام حين قاد هؤلاء لفتح تلك البلاد بأمر الله قالوا له:

﴿إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ﴾ [المائدة: ٢٢]، لقد اشترطوا على نبيهم أن لا يدخلوها، حتى يخرج أهلها منها!! فالبلد لها أهلها الأصليون، وبنو إسرائيل طارئون عليها.

ثم ارتفعت وتيرة وقاحتهم وقالوا لنبيهم الكريم: ﴿فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ﴾ [المائدة: ٢٤].

إن أرض كنعان لم تكن لهم من قديم الزمان، بل كانت لغيرهم، وحين دخلوها فاتحين، لم يغادرها أهلها منهم، بل عاشوا إلى جوار الفاتحين، لكن هؤلاء لم يدوموا في الأرض

لأنهم أخلُّوا بشرط الوراثة والتمكين، فطردهم الله منها، وشتّت شملهم في بقاع الدنيا، وبقيت الأرض لأهلها الأصليين.

* * *

ولماذا يتمسك اليهود بالوعد المقطوع لإبراهيم، ولا يتمسك به العرب المسلمون، وهم نسل إبراهيم الأعظم والأكثر؟!.

إننا نحن العرب المسلمين نقول لليهود: نحن أَوْلى بإبراهيم منكم، فنحن على ملّته الحنيفيّة، وأنتم قد زُغْتم عنها وانحرفتم!! ونقول لهم كما قال الحق عز وجل: ﴿ مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا ﴾ [آل عمران: ٦٧].

ونحن العرب المسلمين أتباعه والمحافظون على ملته، والوارثون لشريعته.

ونقول لليهود الذين يسمُّون مدينة القدس (مدينة داود) ويحتفلون اليوم بمرور ثلاثة آلاف سنة على دخول داود إليها ـ نقول لهم: نحن أولَى بداود وابنه سليمان منكم، فنحن نحبُّهما ونجلُّهما، ونصلّي ونسلّم عليهما، أما أنتم فقد اتهمتم

الأب داود بالزنى، فَلعَنكم لَعْنةً دائمة، وأسأتم إلى سيرة ولده سليمان.

إن رئيسكم الحالي عيزر وايزمان يُعلن في كتابه (الحرب من أجل السلام): «أنه غير معجب بالملك داود»، ويتهمه بالاعتداء على زوجة أحد قادته العسكريين[1]، ولقد صدر مثل هذا الكلام في ذم داود عليه السلام من السياسي الخائب (شيمون بيريس)!!.

إن داود عليه السلام حينما ابتدأ ببناء مسجده المبارك الذي تسمونه (الهيكل) والذي أتم بناءه ابنه سليمان ـ قد اشترى أرض هذا المسجد من ماله الخاص، من عربي يبوسي يقال له (أرنان)، ولم يغتصبه اغتصاباً، ولم يفعل منكراً، كما تَوَدُّون أن تفعلوا أنتم في بيت الله المعظّم (المسجد الأقصى) بحجّة أنّه بُني فوق الهيكل، وأنتم لا تملكون أي دليل على ذلك!!.

إن القدس لم يؤسسها داود عليه السلام، ولم يَدَّعِ ملكيتها

---

(١) انظر كتاب (الحرب من أجل السلام) تأليف عيزر وايزمان صفحة ٢٢٤، طبعة دار الجيل ـ عمّان.

الأبديّة، فقد كانت قائمة قبله، ثم تركها للمالك الحقيقي الذي هو الله، يورثها من يشاء من عباده، فليس ادِّعاؤكم الآن ـ وبعد ثلاثة آلاف سنة من داود ـ أن المدينة مدينته بصحيح!!.

إن القدس مدينة داود النبي الصالح حامل رسالة الله، وليست مدينة الملك السافك للدماء، المعتدي على الأعراض، كما تصوره أسفاركم، وكما تنهجون نهجه في هذه الصورة المفتراة على هذا النبي المَلِك صلوات الله وسلامه عليه!!.

وحين تبجَّح اليهودي بنيامين نتنياهو في شهر ٤/ ١٩٩٧م خلال زيارته لأمريكا بقوله: «حين أسير في القدس، أشعر بأني أسير في المكان الذي خَطَا فيه الملك داود» ـ فإنه كان يَرَى في داود الملكَ الغاشمَ المُعْتدي، ويُسْقِطُ عليه صورته هو القبيحة الباغية!!.

* * *

وبعد: فهذا تقديم متواضع لهذه الرسالة الموجزة في تاريخ مدينة القدس، التي كتبها العالم الواسع الاطِّلاع (الدكتور حسن ظاظا)، وسمَّاها (القدس: مدينة الله أم مدينة داود)، وخلُص إلى نتيجة هي: أن القدس مدينة الله وأنبيائه ورسالاته، وأن خاتم

الرسالات هي الأَولى بحماية ورعاية هذه المدينة المقدَّسة.

ولقد أوليت هذه الرسالة عنايتي، فقسمتها إلى ثلاثة فصول، ثم قسمت كل فصل إلى عدد من الموضوعات، ووضعت لكل فصل وموضوع العنوان المناسب له، وذلك لأسهِّل على القارئ استيعابها وفَهْم أفكارها، وزيادة الانتفاع بها.

ثم إني قد عرَّفت وبإيجاز بعدَدٍ من الأعلام الذين ورد ذكرهم في هذه الرسالة، بُغْية تزويد القارئ بشيء من المعلومات عن الأدوار التي قام بها أولئك، وكثير منهم من الملأ اليهودي المجرم، الذي شارك في إقامة دولة البغي والظلم (إسرائيل).

وختاماً: فإني أدَعُ للقارئ الفرصة ليدلفَ إلى هذه الرسالة، قارئاً، مستفيداً، مستمتعاً.

والحمد لله أولاً وآخراً.

١/ ٨/ ١٤١٨هـ

١/ ١٢/ ١٩٩٧م

**الناشر**

بسم الله الرحمن الرحيم

## مقدمة المؤلف

أرَدتُ في هذا البحث الموجز الذي أسميته: (القُدْسُ: مدينةُ الله أم مدينةُ داود؟!) أنْ أرسُمَ الخُطوطَ العريضةَ لتاريخ المدينة الفلسطينية العريقة قَبْلَ اليهود، وأن أُقدِّمَ لها وصفاً إقليمياً جغرافياً، وأن أُبيِّنَ ماكان من قيام حُكْمِ داودَ وسليمانَ عليهما السلام في طرفها الشمالي، بعيداً عن حَوْزة المسجد الأقصى وقبَّة الصخرة وكنيسة القيامة، وما تبع ذلك من آثار عمرانية موغِلة في القِدَم، مستقلَّة تمام الاستقلال عن الأشياء الطارئة على المدينة مع اليهود القدماء إلى أن دالت دولتهم.

وقد تتبَّعت تاريخ هذه المدينة بعد داود وسليمان عليهما السلام، وما حلَّ بها من نكبات وما أصاب سكانها من اليهود من الدول المجاورة التي جرّبت كلُّها

حظها في النَّيْل من هذه المدينة وسكانها، ثم بيَّنتُ للقارىء كيف كانت نهاية الوجود اليهودي فيها على يد الرومان منذ حوالي ألفي سنة.

ولم يفتني أن أتتبَّع تاريخ هذه المدينة في الحقبة الإسلامية ولو بإيجاز، وإلى أن ابتُليت من جديد بشرور اليهود بعد زمن طويل!!

وقد ختمت هذا البحث بحديث فيه شيء من التفصيل عن هيكل سليمان عليه السلام ثم الهياكل التي بنيت بعده.

والعنوان كما يرى القارىء يتضمن سؤالاً عن القدس، أهي مدينة الله أم مدينة داود؟! والذي يبرِّر هذا العنوان هو أنَّ اليهود دَرَجوا على تسميتها (مدينة داود)، حتى في نشيدهم الصهيوني، بينما يتَّضح من سيرة سيدنا إبراهيم عليه السلام أنها كانت (مدينة الله) عندما حلَّ بها ضيفاً على أميرها (مَلْكي صادق) كاهن الله العلي، وهو حاكم فلسطيني صالح، كان إبراهيم ـ حسبَ ماجاء في التوراة الموجودة بين أيدي اليهود الآن ـ يصلِّي معه، ويَلْتمسُ بركته. كل هذا قبل داود بما يقارب ألف سنة!!

* * *

وقد لقي هذا البحث تقديراً من الذين اطلعوا عليه في جميع أنحاء العالم، عندما نشرته جامعة الإسكندرية للمرة الأولى في كُتيِّب مستقل، ثم أعاد نشره مجمعُ البحوث الإسلامية بالأزهر، ونفدَت الطبعتان وما يزال البحث عن نُسَخ هذا الكتيِّب مُلِحاً، مما برر إعادة طبعه الآن.

ويسرني أن تقوم دارُ القلم بدمشق بنشره ضمن سلسلتها الثقافية الموجزة (كتبٌ قيمة). وكانت الدار قد أخرجت لي ضمن هذه السلسلة كتاباً بعنوان (إسرائيل ركيزة للعدوان والاستعمار بين المسلمين).

هذا وأرجو للقارىء الكريم أن يخرج بخلاصة موجزة وكافية للتاريخ الصحيح لهذه المدينة العربية المسلمة التي يزعم اليهود أنها مدينتهم منذ القدم!!

الرياض ١/ ١١/ ١٤١٧هـ

١٠/ ٣/ ١٩٩٧ — الدكتور حسن ظاظا

# الفصل الأول

## من الحاضر إلى الماضي البعيد

**١ـ دولة اليهود (إسرائيل) والقدس**

**٢ـ القدس قبل بني إسرائيل قديماً**

**٣ـ لمحة جغرافية عن القدس**

**٤ـ داود عليه السلام ومدينته**

**٥ـ مدينة داود بعد داود**

# (١)
# دولة اليهود (إسرائيل) والقدس

## تعقيد الأمور البسيطة أسلوب
## دَرَجت عليه سياسة اليهود في إسرائيل

لإسرائيل أسلوب لا يُعْوِزه الدَّهاء في السياسة التي تنتهجها في مشكلة صراعها مع العرب، وهو أسلوب تحاول به أن يطول بقاؤها بفلسطين، في عالم يتميَّز بأنَّ عمر الاستعمار فيه قصير، وحياته في البلاد التي يتشبَّث بها رهيبة مُرَّة لا راحة فيها ولا اطمئنان.

وأسلوبها هذا مبني على (التعقيد)، والانحراف بالمسائل عن الطريق الواضحة المستقيمة بإثارة مشاكل جانبية مفاجئة، من الأفضل لدى قادة الصهيونية ألا ترتبط بفنٍّ تنسيق العلاقات الدولية، والدخول إليها من أبوابها الواسعة، بقدر ما ترتبط بغيبيَّات مُظلمة، وأساطير متنكِّرة في ثياب التاريخ، و(ميتافيزيقيات) غير إنسانية، إن لم

تنجح في خِدَاع العالم بصورة نهائية فإنها ـ على الأقل ـ تجرّه في دوّامتها السِّحرية مدة من الزمن تطول أو تقصر بحسب الظروف.

وإسرائيل تخترع هذه (العُقَد) وتفتعلها بتوقيت دقيق بحيث تتراكم وتتراكب حتى تصبح ملفَّات (صراعها مع العرب) في مكاتب هيئة الأمم المتحدة، وأرشيفات وزارات الخارجية في العالم، أشبه بمجلَّدات التلمود، التي لا تَدَعُك تنفذ من اعتراض إلا لتقع في إشكال، أو تنزلق في شبهة، أو تنساق إلى نقاش كلامي طويل، ينتهي بأن تصرخ متسائلاً وقد كادت أعصابك تنهار: والآن.. أينَ القولُ الفَصل؟.. أين الحلال والحرام؟ وهيهات أن تجد جواباً!!

وليس أشد إزعاجاً لكهنة السياسة الإسرائيلية في قديم الزمان وحديثه من (القَوْل الفَصْل)، ومن الحلِّ العادل المنطقي الإنساني المباشر، وكلما ظهر في طريقها من يكشف لولبيَّتها وتعقيدها هذا للبسيط من الأمور، مما لا يدعُ لها مجالاً للمغالطة والتهريج، لجأت معه إلى الجريمة، إلى القتل.. هكذا كان موقفهم قديماً من نبيِّهم

(أرمياء)[1]، ومن (يوحنا المعمدان)[2]، ومن عيسى المسيح[3]، وهكذا إلى أن نصل حديثاً إلى اغتيال اللورد (مُوين)[4] وزير المستعمرات البريطاني أثناء الحرب العالمية الثانية، والكونت (برنادوت)[5] الوسيط الدولي

---

(١) أرميا: من أنبياء اليهود، عاش حوالي ٦٤٠-٥٧٠ق.م، وشجب المظالم الاجتماعية، وحث بني إسرائيل على التوبة والعودة إلى دينهم، لكنهم أعرضوا عنه، وتنبأ بسقوط أورشليم وتدمير الهيكل، ولقي من قومه ما لقي.

(٢) يوحنا المعمدان: هو الاسم الذي يطلقه اليهود والنصارى على النبي (يحيى) عليه السلام، وقيل إنهم قتلوه هو وأبوه النبي زكريا عليهما السلام.

(٣) حاول اليهود إيقاع عقوبة القتل بالمسيح لكن الله نجّاه منهم.

(٤) مُوين: سياسي بريطاني تولى وزارة المستعمرات عام ١٩٤١، ثم عُين وزيراً مقيماً في الشرق الأوسط. اغتاله يهوديان من عصابة (شتيرن) قدما من فلسطين لهذه الغاية في شهر ١١/ ١٩٤٤ ووقعت جريمة اغتياله في القاهرة.

(٥) فولك برنادوت: نبيل سويدي، عُيِّن وسيطاً للأمم المتحدة بين العرب واليهود في ٢٠/ ٥/ ١٩٤٨، واغتاله اليهود في القدس في ١٧/ ٩/ ١٩٤٨.

بينهم وبين العرب، وما لا يُحصَى غيرهم من ضحايا الظلاميات الإسرائيلية المُطْبِقَة.

## عقدة القدس عند اليهود في إسرائيل:

وهناك (عُقدة) ظل الإسرائيليون يدَّخرونها للوقت الذي يصلُ بهم الحرج في ميدان السياسة الدولية إلى ذروته، وهي (القدس). فمنذ بدأ المشروع الصهيوني المعاصر نشاطه في أواخر القرن الماضي، والقائمون عليه يحتاطون جداً في لمس هذه العُقدة، حتى اضطروا طوال مدة مديدة إلى أن يتزودوا لها بوجهين يقولان كلامين مختلفين بحسب المستمعين.

**الوجه الأول**: هو الوجه اليهودي القُحُّ الذي يتكلم إلى اليهود الأقحاح، فلا يترك قَسَماً غليظاً، ولا قولاً معسولاً في الاستيلاء على القدس و(تطهيرها) من الإسلام والمسيحية إلا قاله، ولا يكاد ينعقد اجتماع صهيوني كبير أو صغير، من اللقاء العابر المرتَجَل في بعض الأعياد أو المناسبات، إلى المؤتمرات الصهيونية العالمية، حتى يُطلق اسم (أورشليم) مرات ومرات،

وسط الحماس المتهوِّس الذي لا يعرف له رأسٌ من رجلين.

وأبسط ذلك وأقربه منالاً هو الترنم بنص من المزامير (مزمور ١٣٧/ ٥ ـ ٦) يقول:

(إن نسيتك يا أورشليم فَلْتُشَلَّ يميني[١]

وليلتصقْ لساني بحنكي إن لم أذكرك.

إن لم أرفعْ أورشليم على قمة ابتهاجي).

ويقال إن تيودور هرتسل[٢] ـ زعيم الصهيونية الحديثة ـ كان قد وافق على اقتراح السياسي البريطاني

---

(١) في النص العبري: (فلتنسني) وقد تم التصحيح إلى (فَلْتُشَلَّ) في طبعة دار المشرق في بيروت للعهد القديم.

(٢) تيودور هرتسل: كاتب نمساوي يهودي، أسس الحركة الصهيونية الحديثة، وألف كتابه (الدولة اليهودية) ودعا فيه إلى إيجاد دولة لليهود، ورأس المؤتمر الصهيوني الأول في (بال) بسويسرا عام ١٨٩٧، وبشر بقيام الدولة اليهودية بعد المؤتمر بخمسين سنة، ويعتبر عند اليهود من أعظم شخصياتهم التاريخية، بل إنهم يُعطونه قامة (نبي). توفي عام ١٩٠٤م.

الكبير (تِشِمْبرلين)[1] في إعطاء اليهود وطناً قومياً في أوغندة بوسط إفريقيا، ولكن غُلاة الصهيونية ثاروا على زعيمهم، واعتدوا على مساعده (ماكس نُورداو)[2] بالرصاص، واتهموا (هرتسل) نفسه بالخيانة، وعند اجتماع المؤتمر الصهيوني العالمي السادس بدأوا يهتفون ضده من القاعة، حتى إذا ما بدأ ينشد (إنْ نسيتُك ياأورشليم). . نَسَوا هم كل شيء، وصفا له الجو، وسُلِّمت له الزعامة، بعد أن سَلِمَتْ لهذه الجماعة الهستيرية (مدينة داود).

**وأما الوجه الثاني**: فتلتفت به الصهيونية إلى الأمم الأخرى، تلتفت لتقول لهم كلاماً معسولاً أيضاً عن

---

(١) تشمبرلين: زعيم سياسي بريطاني، يعتبر صانع السياسة التي انتهجتها الحكومة البريطانية في مطلع القرن العشرين، تولى وزارة المستعمرات فترة، وعمل على وحدة الامبراطورية البريطانية، عاش ما بين ١٨٣٦ـ١٩١٤م.

(٢) ماكس نورداو: كاتب ألماني يهودي، درس الطب وعمل في ميدان الصحافة، وكان له جهد في إنشاء الحركة الصهيونية الحديثة، توفي عام ١٩٢٣م.

(المدينة المُتحف)، (المدينة المقدسة) لكل المِلل والأديان، (مدينة الله). وكانت إسرائيل بهذا الوجه تستجدي رضا الرأي العام المسيحي في أوروبا وأمريكا، وتخدِّر الرأي العام الإسلامي في إفريقيا وآسيا، وتتهرب من نقمة العلمانية واللاَّعنصرية في العالم أجمع.

وهكذا جعلوا عاصمتهم أولاً (تل أبيب) لا (القدس)، وقنعوا من إرضاء بسطاء اليهود في العالم ببناء (أورشليم الجديدة) على أطراف المدينة التاريخية، تتكون من بِضعة أحياء إلى الغرب والشمال أشهرها (رِحْبيا) و(مِحْنى يهودا) و(كرم أبراهام)، ثم أضافوا إليها أحياء عربية اغتصبوها بالإرهاب مثل: (البقعة) و(القَطْمون) و(بيت صَفافا) وغيرها. وجعلوا في حكومتهم وزارة خاصة اسمها (وزارة الشؤون الدينية)، ورَضُوا بأن تبقى المدينة القديمة (القدس الشريف) بالمسجد الأقصى وكنيسة القيامة وغيرهما من المعالم والمشاهد المسيحية والإسلامية المقدسة جزءاً من المملكة الأردنية، يفصله عن إسرائيل سُور مُعتَرف به كحدود دولية من هيئة الأمم المتحدة.

## احتلال اليهود للقدس الشرقية عام ١٩٦٧ وتوحيدهم لشطري المدينة:

ثم خطت الصهيونية خطوتها الجريئة في حرب يونيه ١٩٦٧[١]، فأزالت هذا السُّور، واحتلت القدس التاريخية ضمن ما احتلت ـ وما تزال ـ من الأراضي العربية داخل حدود الأردن وسورية ومصر[٢]، وتسرعت فأعلنت (توحيد القدس) أي ضم القدس الشرقية ـ وهي المدينة العربية التاريخية ـ إلى (أورشليم الجديدة)، وإدخالها في مخطط (تهويد) معلوم مرسوم.

ولكي يبتلع العالم كل هذه المغالطات دون صياح كثير، قسَّم قادة الصهيونية أنفسهم إلى (جُوقات)، كل

---

(١) كانت هذه الحرب بمثابة النكبة الكبرى الثانية للعرب بعد نكبتهم أمام اليهود عام ١٩٤٨، فقد أُدخل العرب معركة لم يخططوا لها، واستُدرجوا لهزيمة لم يقدِّروا قدْرها، وكانت الهزيمة الكبرى والطامّة العظمى التي لا نزال نعيش آثارها حتى اليوم.

(٢) أعاد اليهود لمصر سيناء وفق معاهدة أضرَّت بسيادة مصر.

منها يتجه بصوته جهة خاصة يُلقي فيها بالبيانات والتصريحات المناسبة: (ابن جوريون)[1] و(موشي ديان)[2] وبقية (الكَوْرس القومي) يعلنون أنه: لا إسرائيل بدون القدس التاريخية، (مدينة داود)، وأن الحائط الدولي الفاصل بين القدس القديمة شرقاً والجديدة غرباً كان وصمة في جبين الشعب اليهودي، وأنَّ المدينة كلها يهودية مئة في المئة بماضيها ولا بدَّ أن تصير كذلك في مستقبلها.

وفي نفس الوقت يقف في الجهة الأخرى (الكورس الدبلوماسي) بقيادة (أبا إيبان)[3] و(يجال آلون)[4] ليؤكد

---

(١) ديفيد (داود) بن غوريون، الرجل الأول في تأسيس دولة إسرائيل. وقد بذل جهداً كبيراً في هذا المجال، ورأس الوزارة اليهودية عدة مرات بعد التأسيس. يعتبر من أشهر زعماء اليهود المعاصرين، مات سنة ١٩٧٣م.

(٢) موشي ديان جنرال يهودي قاد الجيش اليهودي في حربه للعرب عام ١٩٥٦ وعام ١٩٦٧. مات سنة ١٩٨١م.

(٣) أبا إيبان: زعيم سياسي ودبلوماسي يهودي ولد عام ١٩١٥ في (جنوب إفريقيا). شغل منصب وزارة الخارجية.

(٤) يجال آلون: زعيم يهودي سياسي وعسكري من قادة حرب عام ١٩٤٨ دخل الوزارة الإسرائيلية عدة مرات، وتوفي عام ١٩٨٠.

أنَّ القدس (مدينة الله) وأنَّ المعالم المقدسة فيها لها حصانة سماويَّة لا يمكن المساس بها، وأنَّ المدينة المقدسة مفتوحة على مصراعيها للناس جميعاً من كل المِلل والنِّحل وأنها ستظل كذلك.

وتترسب في الرأي العام العالمي، في العقل الباطن للناس، انطباعات هي وحدها التي أرادها اليهود: أنهم أصحاب الحق الشرعي والتاريخي الأول في هذه المدينة، وأنهم لا يتكلمون من مركز القوة فحسب، بعد نكسة حزيران ١٩٦٧، بل من سجلات التاريخ أيضاً. وكاد العالم أن يبتلع ماشاءت الصهيونية بدون صياح كثير.

* * *

ثم تشتد المقاومة الفلسطينية في كل مكان، وتصمد الأمة العربية الواقفة على خط المواجهة، ويطول صمودها بما يُخَيِّبُ ظن إسرائيل، بل إنها لاتكتفي بالدفاع المتكافىء عن مواقعها فتلقن القوات الإسرائيلية الضاربة، كلما حدث اشتباك، درساً في ضرورة التروِّي والتفكير الطويل قبل الدخول في اشتباكات أخرى،

وتخرج من جَزَعِ الهزيمة ومرارة الدفاع المستميت إلى إمكانيات التخطيط للمستقبل، ويبدأ ذلك بتنسيق كامل بين الجبهات الثلاث[١]، ثم بينها وبين قيادة الكفاح الفلسطيني المسلَّح[٢]، على نحو يجعل الغُلاة من قادة الصهيونية قلقين على المستقبل جداً. فالانتصار السهل في معركة محلية خاطفة، قد حلَّ محله خطر الحرب الشاملة إذا هم أصرُّوا على طلباتهم. والوقوف خلف المدافع عند خطوط وقف إطلاق النار سنين طويلة سيهز الصورة الرائعة التي رسمتها الدعاية الصهيونية للجيش الإسرائيلي الذي لايُغلب، بين جماهير اليهود البسطاء في العالم، الذين يعيشون على رومانسية عسكرية حالمة

---

(١) يريد المؤلف بالجبهات الثلاث: الجبهة السورية، والجبهة المصرية، والجبهة الأردنية، وهو يتحدث عن واقع كان في السبعينات من القرن العشرين، أما الآن فلم تبق جبهات والجميع ينادي بالسلام مع عدوِّ الأمس.

(٢) لقد طُويت صفحة الكفاح الفلسطيني المسلح التي ضخّمها الإعلام العربي كثيراً، وبدأت صفحة تسوُّل الحقوق من (العدو) منذ بداية التسعينات من القرن العشرين.

تستمد عناصرها من قصة داود وتغلُّبه على العملاق جالوت[١].

هذا فضلاً عن أن وقوف السنين الطوال خلف المدافع سيحدُّ أيضاً من الإنتاج، وسيصيب بالعقم والجَرَب مواسم الحَجّ والسياحة، وسيتطلب المليارات ثمناً لهذا الترف الذي تتحاشاه أكبر الأمم وأغناها، وسيترك لحلفاء إسرائيل والواقفين وراءها فرصة طويلة للتأمل والتفكير الهادىء في المصالح الحقيقية والدائمة لشعوبهم، ستنتهي غالباً بانفضاضهم عنها كلياً أو جزئياً. وقد بدأ ذلك فعلاً بتخلِّي فرنسا عن تَبَنِّيها للصهيونية، وأعقب ذلك انكماشاً من جانب إنجلترا وإيطاليا وتركيا والأرجنتين وغيرها من دول العالم في موقفها من الصهيونية[٢].

---

(١) جالوت: بطل فلسطيني هزم اليهود وملأ قلوبهم رعباً، إلى أن بارزه داود وقتله.

(٢) مواقف هذه الدول التي ذكر المؤلف أسماءها من الصراع العربي اليهودي ليست مستقرة، ولاتستند إلى مبدأ خُلُقي، بل هي تتعلق بمصالح تلك الدول، لذا فهي تتغيَّر بين الحين والأخر.

## إحراق اليهود للمسجد الأقصى عام ١٩٦٩ :

في وسط هذا الدخان الكثيف، يشب حريق المسجد الأقصى، ولأمرٍ ما تحرص إسرائيل على أن تُعلن منذ بداية التحقيق أن المسؤول عن هذه الجريمة (مايكل روهين) ليس يهودياً ولا إسرائيلياً بل شاب أسترالي من أتباع طائفة مسيحية متطرفة، ولكن العالم لا يبتلع ذلك بسهولة، ويبدأ القلق، لا بين المسلمين وحدهم ولكن بين جماهير العالم المسيحي أيضاً. وتذهب إسرائيل في الاعتذار عن أقل ما يمكن اتهامها به وهو الإهمال في القيام بمسؤولياتها عن أمن الأماكن المقدسة وسلامتها كل مذهب. ولكن حججها تبدو واهية هزيلة لا تفلح في إزالة القلق الشديد من نفوس غير اليهود في الشرق والغرب.

ويقوم وزير خارجيتها (أبا إيبان) بجولاته التقليدية، لا يألو فيها جهداً، حتى يصل إلى الفاتيكان وإلى لقاء البابا (بولس السادس) نفسه، ولكن المقابلة (التاريخية) لا تأتي إلا بنتائج (سلبية). وتعلن رئيسة الوزراء (جولدا

مايرٍ)[1] عن عزم الحكومة الإسرائيلية على ترميم المسجد الأقصى على نفقتها، كمجرد عملية تخريب، ناجحة بكل أسف، لمؤتمر القمة الإسلامي[2]

كل هذا (والعقل الباطن) للعالم كله مايزال يُنقع في تاريخ فولكلوري مؤداه كما قلنا أن القدس (مدينة داود)، وأنَّ ما يحدث فيها الآن ـ على بشاعته ـ هو صراع بين (ظواهر) طارئة وبين تاريخ قديم يريد أن يعيد نفسه.

فَلْنَعُـدْ إذن إلـى التـاريـخ ولنتـركـه يقـول مـا عنـده باختصار.

* * *

---

(١) جولدَامائير: زعيمة سياسية يهودية روسية الأصل، نشأت في أمريكا، ثم هاجرت إلى فلسطين وكافحت كفاحاً مريراً لإقامة الدولة اليهودية. رأست الوزارة اليهودية، وكذلك وزارة الخارجية، وماتت سنة ١٩٧٨م.

(٢) عقد مؤتمر القمة الإسلامي الأول في المغرب العربي عام ١٩٦٩م لمعالجة موضوع حريق المسجد الأقصى.

# (٢)

# القدس قبل بني إسرائيل قديماً

## أسماؤها في النقوش القديمة:

أقدم النقوش التي ورَد فيها ذكر هذه المدينة موجود في المتحف المصري بالقاهرة، في مجموعة اللوحات المكتوبة بالخط المِسماري واللغة البابلية (لغة العراق القديم)، تتخللها شروح باللغة الكنعانية (لغة فلسطين القديمة). وهذه النقوش تُسمى (لَوْحات تَل العَمارنة). وقد عُثر عليها في أوائل القرن العشرين في هذه المنطقة من محافظة أسيوط، وهي وثائق دبلوماسية ترجع إلى عهد الفرعون أمنوفيس الثالث[1] (من ١٤١١ إلى ١٣٧٥

---

(١) أمنوفيس الثالث وهو (امنحتب الثالث): أحد ملوك الأسرة الثامنة عشرة التي حكمت مصر من عام ١٥٨٠ إلى ١٣١٤ قبل الميلاد، وكان أشهر ملوك هذه الأسرة (أحمس الأول)=

قبل الميلاد) وابنه أخناتون[١] (١٣٧٥ـ١٣٥٠ ق.م).

تُسمى أورشليم (القدس) في هذه النقوش (أوروسالم). ففي رسالة كتبها (عبد يحيبا) إلى أمينوفيس الثالث نجد أن الأول هو حاكم القدس (أوروسالم) مِنْ قِبَل فرعون، وأنَّه يستنجده بمَدَد عسكري لصدِّ غارات شراذم من الغجر الرُّحل اسمهم (حبيرو)، اتفق الباحثون على أنهم (العبريُّون) كما ذكر ذلك الأثري (بندلبوري) الذي أشرف زمناً طويلاً على الحفائر في هذه المنطقة، وألَّف فيها كتابه المشهور (حفائر تل العمارنة)[٢].

---

= الذي وضع الأساس لإمبراطورية مصرية واسعة.

(١) أخناتون: فرعون مصر المشهور ويقال له: امنحتب الرابع، ثم غَيَّرَ اسمه إلى (أخناتون)، ودعا لعبودية إله واحد تتمثل قوته في قرص الشمس.

(٢) الذي يهمنا من الرسالة التي أوردها (بندلبوري) في كتابه (حفائر تل العمارنة) هو أنّ اسم أورشليم (القدس) كان في زمان حاكم القدس (عبديحيبا) هو (أوروسالم).

أما ماذكره (بندلبوري) من اتفاق المؤرخين على أن الحبيرو هم (العبريون) وأن هؤلاء هم أصول بني إسرائيل =

ويقول المؤلف نفسه: إن معبد (آتون) في تلِّ العمارنة بخطته المعمارية المتميزة، وبالخلفية الدينية التي جعلته قِبلة للناس كافة هو الذي ألهم بُناة المعابد في بلاد النُّوبة والآسيويين في أورشليم فكرة (المعبد المركزي) أو (المعبد القِبْلة) الذي يتجه إليه الناس جميعاً في صلاتهم ويأتون إليه في حجِّهم.

نجد اسم أورشليم بعد هذا التاريخ يتكرر في لغات أخرى، ففي نقوش الامبراطور الآشوري سنحاريب(١) (حول ٧٠٠ق.م) يرد اسمها هكذا (أوروسليمو) وفي

---

= فهذا خطأ كبير، فبنو إسرائيل، ثم اليهود حسب الاسم الذي غلب عليهم فيما بعد لم يبدؤوا من العبريين بل بدؤوا من رجل معروف ومشهور هو يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم الذي سُمي أيضاً (إسرائيل) فهم بنو إسرائيل، ولا علاقة لهم بالعبريين، حتى وإن كان لهذه الجماعة وجود في التاريخ.. بل إن وجودهم مشكوك فيه، وما ذُكِرَ في أسفار اليهود عنهم هو من قبيل الترهات التي امتلأت بها تلك الأسفار.

(١) سنحاريب: ملك آشوري خَلَفَ والده سرجون الثاني، أعاد بناء نينوى بعد ارتقائه العرش، واتخذ منها عاصمة لدولته، غزا مملكة يهوذا، وحاصر بابل ودمَّرها.

العبرية (يروشالايم)، وفي النقوش اليونانية من عهد الإسكندر الأكبر[1] (حوالي ٣٣٠ق.م) وردت بلفظ هيروسوليما) أو (سوليما) باختصار، وانتشر اسمها من الكتاب المقدس في جميع لغات العالم تقريباً.

## لفظ (القدس) رافق المدينة منذ بداية تاريخها:

أما اسم (القدس) فلا بد أنه رافق المدينة منذ بداية تاريخها، أي منذ ما قبل بني إسرائيل، عندما أقيمت فيها لأول مرة أماكن مقدسة خاصة ببعض العبادات القديمة. وعلى أية حال فإن المؤرخ اليوناني هيرودوت[2] (٤٨٤ـ٤٢٥ق.م) لم يذكر في تاريخه المشهور اسم

---

(١) الإسكندر الأكبر المقدوني: ملك اليونان المشهور، وقائد عسكري كبير، وفاتح عظيم، فتح العديد من بلدان آسيا، وبنى الإسكندرية في مصر، وتوفي شاباً.

(٢) هيرودوت: مؤرخ يوناني وضع كتاباً أَرَّخ فيه للحروب اليونانية ـ الفارسية، ويُعتبر أول تاريخ عرفته الحضارة الغربية، قام برحلات متعددة في أصقاع العالم المعروف، ويُعرف بأبي التاريخ.

أورشليم، ولكنه ذكر مدينة كبيرة في الجزء (الفلسطيني) من الشام وسمّاها (قديتس) مرتين في الجزء الثاني والثالث من تاريخه. ويقول المستشرق اليهودي الفرنسي (سالومون مونك) في كتابه (فلسطين): إن هذا الاسم على الأرجح هو (القدس) مُحَرَّفاً في اليونانية عن النطق الآرامي (قديشتا). وحتى اليهود في الكتاب المقدس قد أطلقوا عليها أحياناً اسم (مدينة القدس) (أشعيا ٤٨/ ٢، نحميا١١/ ١)، و(جبل القدس) (أشعيا٢٧/ ١٣)، كما سُمِّيت (مدينة الله) (المزامير٤٨/ ١)، و(مدينة الحق) (زكريا ٨/ ٣).

**اسم أورشليم ومعناه:**

واسم (أورشليم) ليس عِبرياً أصيلاً، فقد كانت تحمل هذا الاسم قبل دخول بني إسرائيل بشهادة نص تلّ العمارنة، وبدليل أن اليهود وجدوا صعوبة في كتابة اسمها باللغة العبرية (يروشالايم)، فهذه الياء الواقعة قبل الميم الأخيرة لم تكن تُثْبَتْ في الكتابة العبرية. وقد كُتبت بدونها في أسفار العهد القديم ٦٥٦ مرة، وكتبت بها ست مرات فقط، ولذلك نص علماء التلمود على وجوب

كتابتها بلاياء (التوسفتا، كتاب الصوم (تعنيت) ١٦/ ٥).

أما معنى (أورشليم) فمُختلَف فيه أيضاً، وأرجح الآراء من الناحية العلمية أنها مركبة من (أور) بمعنى موضع أو مدينة و(شالم) وهو اسم إلٰه وثني لسكان فلسطين الأصليين هو (إلٰه السلامة) أو (إلٰه السلام). يالسخرية التاريخ!! فالمدينة إذن كانت مكرّسة لإلٰه السلام حتى وصل بنو إسرائيل!! وهناك من يقول: إن كلمة (أور) معناها الميراث، فيكون (أورشليم) بمعنى ميراث السلام.

أما أحبار اليهود فيدَّعون أن سام بن نوح قد سمَّاها (شلم) أي السلام، وأن إبراهيم الخليل قد سماها (يرأه) وهي بمعنى الخوف باللغة العبرية، فقرر الله أن يسميها بالاسمين جميعاً (يرأه ـ شلم) أي (أورشليم) بمعنى الخوف والسلام (المدراش ـ الشرح الكبير على سفر التكوين (بريشيت ربا) ـ ٥٧). وبَنَوا على هذه التخريجات الفولكلورية عقائديات رهيبة حول السلام المتولد عن الرُّعب. وقيل أيضاً: إن (يرو) يمكن أن تكون في اللغات السامية بمعنى (إلٰه)، ويكون اسم المدينة بكل بساطة (إلٰه السلام).

ولو توفّرت الأدلة على أنّ سام بن نوح هو الذي سمّىٰ المدينة باسمها لوافقنا أحبار اليهود على أن المدينة نفسها ترجع إلى عهد سيِّدنا نوح، ولكن لم يقل أحد غيرهم بذلك، حتى التوراة نفسها، فإنها تتحدَّث عن (أورشليم) لأوَّل مرة في زمن إبراهيم (حوالي سنة ١٩٠٠ ق.م)، وكان اسمها (شاليم) فقط، وكان ملكها من سكان فلسطين الأصليين، ويبدو من السياق أنه كان يحكم دينياً، تقول التوراة (سفر التكوين ١٤/١٨): (ومَلْكيصدك ملك شاليم أخرج خبزاً ونبيذاً، وكان كاهناً لله العلي، وباركه وقال: مُبارك أبْرام من الله العلي مالك السماوات والأرض). فأورشليم (القدس) كانت مدينة مباركة لله العلي من قَبْل داود، بل من قَبْل إبراهيم أيضاً.

## فتح بنو إسرائيل للقدس في عهد يوشع بن نون:

وعلى عهد يوشع بن نون خليفة موسى[1] (حوالي

---

(١) يوشع بن نون أو (يشوع) خليفة موسى عليه السلام في بني إسرائيل، قادهم إلى فتح فلسطين، واختلف المسلمون في أمر نبوته، لكن هناك نصوص ثابتة تفصح عن التأييد الإلٰهي له. =

١٤٥٠ق.م) كان بنو إسرائيل قد أصبحوا بعشائرهم التي تُهدِّد أمن المدن الفلسطينية خَطَراً يُحسب حسابه، ويؤكد ذلك نص تل العَمارنة الذي أشرنا إليه. لذلك نجد تحالفاً يُعقد بين أمراء الفلسطينيين على أثر انتصار يوشَع بن نُون في أريحا وعاي وجَبْعون، (يوشع ١٠/ ٣ـ٤). (فأرسل أدونيصدق ملك أورشليم إلى هوهام ملك حَبْرون ـ الخليل ـ وفرآم ملك يرموت، ويافع ملك لكيش، ودبير ملك عجلون). ولكن يوشع بن نون ينشر الرهبة في كل فلسطين فتخضع له بعض البلاد ويحاربه البعض الآخر، ويصالحه فريق من (الخائفين) على امتيازات معيَّنة يتنازلون عنها لبني إسرائيل.

وكانت (أورشليم) من المدن الفلسطينية التي قاومت الغزو قروناً طويلة. فمثلاً نجد يوشَع بن نُون نفسه يجعلها في نصيب قبيلتَيْ بنيامين ويهوذا من أسباط بني إسرائيل، ولكنهما لم يستطيعا ـ ولمدة طويلة جداً ـ طرد سكانها الأصليين (اليبوسيين) إحدى القبائل الفلسطينية

---

= صوَّرته أسفار اليهود ـ لاسيما السفر المسمى باسمه ـ بصورة فاتح متعطش للدماء!!.

القديمة (يوشع ١٥/ ٦٣): «وأما اليبوسيون الساكنون في أورشليم فلم يَقْدِرْ بنو يهوذا على طردهم، فسكن اليبوسيون مع بني يهوذا في أورشليم إلى هذا اليوم».

والمقصود اليومُ الذي يروي فيه الراوية هذه الوقائع عن يوشع وبعد وفاته بمدة عِلْمُها عند الله.

وبعد موت يوشع بن نون أعاد سبط يهوذا الكَرَّة على أورشليم، «وحارب بنو يهوذا أورشليم وأخذوها وضربوها بحَدِّ السيف، وأشعلوا المدينة بالنار» (سفر القضاة ١/ ٨). أما سبط بنيامين فإنهم فشلوا كذلك في طرد اليبوسيين وسكنوا معهم «إلى هذا اليوم» (قضاة ١/ ٢١).

## إطلاق اسم يبوس عليها لسكنى اليبوسيين لها:

لذلك بقيت أورشليم تسمى (يبوس) أو (مدينة اليبوسيين) كما جاء في سفر القضاة (١٩)، وفي هذا الموضع نجد نصاً يستحق الانتباه، حين يقول في سياق القصة التي يرويها: «... وفيما هم عند يبوس، وقد انحدر النهار جداً، قال الغلام لسيده: تعالَ نميل إلى مدينة اليبوسيين هذه ونبيت فيها. فقال له سيده: لا نميل

إلى مدينة غريبة حيث لا أحد من بني إسرائيل هنا».

وسنرى أن المدينة المقدسة ظلت إلى عهد داود لليبوسيين، سكانها الأصليين من شعب فلسطين. ومعروف أن داود عاش حوالي سنة ألف قبل الميلاد، وبالتالي ظلت مدينة (السلام) من أول ما لقيناها في التوراة على أيام إبراهيم إلى تلك الفترة ـ نحو ألف سنة ـ تقاوم التسلُّل الإسرائيلي، والمطامع اليهودية، فلا ينال الإسرائيليون منها إلا بالتخريب والإحراق حيناً أو بالمساكنة والتعايش السلمي أحياناً.

* * *

ومع داود فقط تبدأ (عُقدة أورشليم) مدينة الله، ومدينة السلام، ومدينة اليبوسيين الفلسطينيين منذ. . . منذ ما قبل التاريخ، كما أثبتتْ ذلك أحدث الحفائر التي أُجريت في المنطقة.

ومن المستحسن قبل أن نخطو الخطوات الأولى نحو (أورشليم اليهود) أن نتصور بما يمكن من إيجاز ووضوح طبيعة إقليم القدس وموقعها.

# (٣)

# لمحة جغرافية عن القدس

## موقعها وجوها:

تقع القدس على خط عرض ٣١° ٤٦ ٤٥ شمال خط الاستواء، وعلى خط طول ٣٥° ١٣ ٢٥ شرق جرينتش. وهي هضبة غير مستوية تماماً يتراوح ارتفاعها بين ٢١٣٠ و٢٤٦٩ قدماً. وجَوُّها قارِّي صحراوي إلى حدٍّ كبير، فالحرارة فيها قد تتجاوز ٣٠ درجة صيفاً، وقد تنزل إلى خمس درجات تحت الصفر شتاءً، كما أن التفاوت في الحرارة كبير بين النهار والليل، ومطرها شتوي متوسط، ورطوبتها متوسطة أيضاً، ويندر بها الثلج.

وليس بها أنهار، وإنما تحيط بها عيون كثيرة تتفاوت في غزارة الماء وصلاحيته للشرب، وتندفع من بعض هذه العيون جداول مؤقتة بهطول الأمطار. وكانت المدينة إلى

عهدٍ ليس بالبعيد تعتمد أساساً على تجميع مياه الأمطار في صهاريج وآبار أُعِدَّت لهذا الغرض، وأعلى مرتفعاتها يوجد على حافَّاتها الشرقية والجنوبية الغربية والشمالية، ولذلك اعتُبِرَتْ منذ القدم موقعاً استراتيجياً قوياً جداً، واشتهرت بأنها لاتظهر عند الزحف عليها مِنْ بُعْد، بينما تستطيع حاميتها أن تكشف تحرُّكات المهاجمين لها وهم ما يزالون على مسافة طويلة.

* * *

وأهم جبالها هي:

١ ـ جبل الزيتون:

وهو المواجه لأسوار الحَرَم من الجهة الشرقية، يفصله عنه وادٍ عميق سريع الانحدار هو (وادي قِدْرون) وامتدادهما من الجنوب إلى الشمال. وهو من الوجهة التاريخية من أهم الجبال المحيطة بالقدس، والتلمود يسميه (جَبَل المَسْح) أي جبل التتويج، لأنهم يأخذون من زيتونه الزيت المقدَّس الذي يُستعمل في تتويج ملوكهم، وعليه كانت تُحرق بقرة القربان الحمراء (في

التلمود)، وهي في القرآن ﴿صفراءُ فاقعٌ لونها﴾[1]، وكانوا يستخدمون الرماد المتخلّف عن إحراقها في تطهير الهيكل وإعادة تكريسه إذا دُنِّس، وهي عادة وثنية منتشرة في هذه المنطقة قبل نزول الديانات السماوية.

وفي أسفل هذا الجبل توجد حديقة المعصرة (جتسماني) التي اكتسبت ذكريات قدسيّة لدى المسيحيين من صلاة يسوع عندها وهو في النزع الأخير ـ كما يعتقدون ـ وفي أعلاه مغارة ألقى فيها المسيح بعض تعاليمه، والتقى بحوارييه قبل صعوده إلى السماء، وعليه بكى المسيح على (أورشليم)، وحيَّاه المؤمنون به بالأغصان الخضراء يوم أحد السعف الذي يتقدم الفصح. والعرب يسمُّونه اليوم (جبل الطُّور).

## ٢ـ جبل بطن الهوا:

وهو امتداد جبل الزيتون في الزاوية الجنوبية الشرقية للقدس، يفصله عنها (وادي سلوان) الذي يتصل في هذه

---

(١) البقرة التي ذكرت في القرآن الكريم، حدثت قصتها في عهد موسى عليه السلام، وهي بقرة وحيدة لم تتكرر، لكن بقرة القربان تكررت مراراً وتكراراً في تاريخ اليهود.

النقطة نفسها بوادي قِدْرون. ويسميه اليهود (هارهامشحيت) أي (الجبل الفاضح)، ويزعمون أن سليمان أقام عليه المعابد الوثنية لنسائه الأجنبيات، وأنه هو المقصود في سفر الملوك (الأول ١١/ ١ـ٨):

«وأحب الملك سليمان نساء غريبة كثيرة مع بنت فرعون، موآبيّات وعَمونيّات، وأدوميّات، وصَيْدونيّات، وحِيثيّات، من الأمم الذين قال عنهم الرب لبني إسرائيل: لا تدخلون إليهم وهم لا يدخلون إليكم، لأنهم يميلون قلوبكم وراء آلهتهم. فالتصق سليمان بهؤلاء بالحب، وكانت له سبعمئة من النساء الحرائر وثلاثمئة من السراري، فأمالت نساؤه قَلْبَه، وكان في زمان شيخوخة سليمان أن نساءه أَمَلْنَ قلبه وراء آلهة أخرى، ولم يكن قلبه كاملاً مع الرب إلٰهه كقلب داود أبيه. فذهب سليمان وراء عَشْتروت إلاهة الصدونيِّين، ومَلْكوم رِجْس العَمونيين، وعمل سليمان الشرّفي عينيّ الرب، ولم يتبع الربَّ تماماً كداود أبيه. حينئذٍ بنى سليمان مَعْبداً لكموش، رِجْس المؤابيين، على الجبل الذي تجاه أورشليم، ولِمَوْلك رجس بني عَمون. وهكذا

فعل لجميع نسائه الأجنبيات اللواتي كن يوقدن ويذبحن لآلهتهن)[1]

## ٣ـ٤ جبل صهيون وجبل أكرا:

في الجنوب الغربي للقدس القديمة، وكانت عليه قَلْعة اليبوسيين التي انتزعها داود منهم بالحرب، ثم نقل إليها قاعدة حكمه التي كانت حتى السنة الثامنة لتولّيه المُلك في جبل (جِرْزيم) بالقرب من نابلس شمالاً، وسماه منذ هذا الوقت (مدينة داود). وكان يفصل جبل صهيون قديماً عن هضبة القدس جبل أقل ارتفاعاً يمتد منحنياً على شكل هلال إلى الشمال الشرقي من صهيون، وكان يمرّ بين الجبلين وادٍ ضيِّق كان يُسمّى حسب قول المؤرخ اليهودي يوسفوس ـ من القرن الأول الميلادي ـ (وادي الجبَّانة، التيروبيون) أي صانعي الجبنة، وكان

---

(١) حاشا لسليمان النبي الصالح أنْ يوصَف بهذا الذي يزعمه هذا النص اليهودي!! ولكن اليهود هذا دأبهم مع الأنبياء والصالحين من عباد الله!! إنهم يفترون عليهم ويؤذونهم على الدوام!!.

يمتد من الشمال الغربي إلى الجنوب الشرقي حيث يتصل بوادي سلوان، الذي يتصل بدوره بوادي قِدْرون شرقاً. وهذا الجبل الصغير لم يرد له اسم خاص في الكتاب المقدَّس، ولكن في عهد الملك اليوناني السلوقي أنطيوخوس الرابع (أبيفانوس) الذي حكم الشام من ١٧٥ إلى ١٦٤ ق.م، ثار اليهود على حكمه، فحضر وقمع ثورتهم وبنى على هذا الجبل الصغير المواجه للقدس من الغرب قلعة سمّاها (أكرا) ومن ثَمَّ أصبح هذا الجبل يُسمَّى: جبل أكرا.

### ٥ـ جبل موريا

أو جبل بيت المقدس، أو بالاختصار (الحَرَم) حيث المسجد الأقصى. وقد ورد اسم (مُوريا) في التوراة (التكوين٢٢/ ٢) في قصة الذبيح الذي أمر الله إبراهيم أن يقدمه قُرباناً، وحدد له هذا الموضع ليذبح فيه ابنه إسحاق. والموضع ما يزال حتى الآن محل خلاف كبير في هذه القضية بين الباحثين وبين اليهود أنفسهم، فاليهود السَّامرة يرون أن الحادثة كانت على جبل جرزيم

القريب من نابلس، حيث قام أقدم هيكل لبني إسرائيل وهو الذي جاء داود فأبطله وعطَّله بعد أن نقل عاصمته إلى القدس، أما طوائف اليهود الأخرى فتزعم أن وقفة إبراهيم بابنه كانت على هذا الجبل بالقدس، وعلى الصخرة الشريفة بالذات. والمسلمون يعتقدون أنه الذبيح إسماعيل لا إسحاق.

## ٦ـ جبل رأس المشارف (سكوبوس)

ويسميه التلمود (جبل المراقبين) (هارهاصوفيم) وهو امتداد لجبل الزيتون من الشمال الشرقي إلى الشمال، يفصل بينهما منخفض يسمى (عقبة الصوان).

٧ـ ويبدو أنه كان في قديم الزمان جبل يقوم بين جبل سكوبوس وبين هضبة الحرم (جبل مُوريا) ذكره يوسفوس في كتابه (حرب اليهود ـ الجزء الأول، الباب الخامس) وسماه (بيزيتا) أي (بيت الزيتون) أو (منبت الزيتون). ولما تولى (أجريبا الأول) (٤١ـ٤٤ ميلادية) ـ وهو من أسرة هيرودس التي اهتمت كثيراً بتجميل القدس كما سنرى ـ رَدَمَ ما بين (جبل موريا) وجبل (بيزيتا)، ومَدَّ

أسوار المدينة إلى ما وراء هذا الجبل الأخير، بحيث أصبح حياً من أحياء القدس كان يسمى (المدينة الجديدة).

* * *

وعلى ذكر هذا الردم بين جبلين فقد حدث في القدس نفسها قبل ذلك، في حكم الأمير اليهودي المكابي شمعون من أسرة الحشمونيين التي كانت تحكم فلسطين دينياً من قبل اليونان، نقول: في هذا الوقت (سنة ١٤٠ق.م) قام شمعون بردم ما بين تل (أكرا) حيث قلعة أنطيوخوس السلوقي وبين جبل الحرم (مُوريا) بحيث صارا شيئاً واحداً أيضاً.

وهكذا إذا أخرجنا جبل الزيتون وامتداده جنوباً وشمالاً، لانفصاله التام عن القدس بالمنخفضات والوديان الشرقية والجنوبية الشرقية، وأخذنا في الاعتبار أن جبل الحرم (مُوريا) أصبح يضم جبل (بيزيتا) من الشمال الغربي، وجبل (أكرا) من الجنوب الشرقي، أمكننا أن نقول: إن المدينة كانت تقوم بهذا الشكل على مرتفعين اثنين هما هضبة (الحَرَم) وقبالتها في الجنوب

الشرقي (جبل صهيون)، يفصل بينهما جزء من وادي الجبَّانة (تيروبويون)، وهذا ما لاحظه المؤرخ اللاتيني تاسيت في كتابه (الجزء الخامس).

* * *

ويذكر يوسفوس أيضاً أنه كانت هناك قَنْطرة تربط هضبة الحرم (جبل مُوريا) بالزاوية الشمالية الشرقية لجبل صهيون، حيث كان يوجد كورنيش يقال له باليونانية (كسيستوس) وهذا العمل يرجع أيضاً إلى أمراء الحشمونيين الذين حكموا باسم اليونان في فلسطين، فهم رَدَموا جزءاً من الوادي وبنوا قنطرة قائمة على عقود مقوسة توصل من (مدينة داود) على جبل صهيون إلى (الحَرَم) على جبل مُوريا، وهو الطريق الذي يمتد الآن من الحرم إلى باب السلسلة.

* * *

**أهم وديان القدس:**

ولا نستطيع ـ وقد أوضحنا مواقع جبال القدس وما طرأ عليها ـ إلا أن نشير إلى المنخفضات أو الوديان

الفاصلة بينها مجتمعة بعد أن سبقت الإشارة لبعضها في مواقعها.

**١ـ وادي قدرون شرقاً:**

وهو اسم جدول الماء الذي يجري في قاعه عندما يسقط المطر، وقد اشتهر باسم (وادي يهو شافاط) (سفر يوئيل ٣/ ٢، ١٢) وطوله نحو كيلو مترين، يفصل السور الشرقي للقدس عن جبل الزيتون. ويعتقد كثير من الطوائف المسيحية واليهودية أنَّ الحشر يوم القيامة سيكون في هذا الوادي اعتماداً على قول النبي يوئيل: (أحملُ كل الأمم وأنزلهم إلى وادي يَهُوشافاط، وأحاكمهم هناك)، وفي الموضع الثاني الذي أشرنا إليه يقول النبي يوئيل: (تنهض الأمم وتصعد إلى وادي يهو شافاط، لأني هناك أجلس لأحاكم جميع الأمم من كل ناحية).

**٢ـ وادي سلوان جنوباً:**

وهو اسم النبع الموجود في هذا الوادي، والذي ينساب منه مجرى ماء اسمه جيحون، أما الوادي نفسه

فكان يحمل قبل مجيء بني إسرائيل اسم قبيلة «هنّم» بتشديد النون، فكان يقال (وادي هنَّم) أو (وادي بني هنَّم). وكلمة الوادي كانت في لغات سامية قديمة متعدِّدة هي كلمة «جي»، فكان يقال «جيهنم» أي هذا الوادي نفسه، وكانت هذه القبيلة ـ في الوثنية البعيدة في القدم ـ تقدِّم الضحايا البشريَّة إلى إلٰهها (مولك) بذبحها وإلقائها في النار، ومن هذه الصورة أطلق اسم (جهنَّم) على مكان العذاب في الآخرة للشبه القائم بينهما. ووادي (هنَّم) أو (سلوان) أو (جيحون) هذا يمتد على طول جنوبي القدس حتى الطرف الجنوبي الشرقي من جبل صهيون. وسمي هذا الوادي بين العرب (حقل الدماء).

**٣ـ وادي الجبَّانة أو «التيروبيون»:**

يفصل جبل صهيون عن غرب القدس، ويبدأ حيث ينتهي وادي سلوان، وكان يسمى في الجزء الجنوبي الغربي من القدس «وادي الزبالة» أو «وادي الدِّمَن» أو «وادي القُمامات»، وقد أشرنا إلى ردم جزء منه في أعمال توسيع لجبل صهيون وللحَرَم المقدَّس الواقع على جبل (مُوريا) الذي هو هضبة الحَرَم الشريف.

### ٤ـ وادي الأرواح :

(رفائيم) بالعبرية، أو العفاريت، يدور حول غرب جبل صهيون وأقصى الجنوب، وبه مدافن للموتى.

* * *

## (٤)

# داود عليه السلام ومدينته

### ظهور داود عليه السلام وتملكه على بني إسرائيل:

قلنا: إن القدس ظلت فلسطينية في أيدي اليبوسيِّين إلى السنة الثامنة من حكم داود. كان داود من الجنوب، من صحراء النَّقب، حيث اختارت قبيلته ـ سبط يهوذا ـ تلك الجهة مَسرحاً لحياتها البدوية الرَّعوية، ثم إنه انتقل إلى الشمال حيث كان نبيُّ بني إسرائيل (صموئيل) قد توَّج شاؤول أول ملك على كل الشعب، وكان داود قد أُلحق ببلاط شاؤول.

وفي هذه الآونة كان سكان البلاد الأصليين «الفلسطينيين» يريدون التخلص من الوجود (الإسرائيلي) في بلادهم. وكانت الحرب سجالاً بينهم وبين الإسرائيليين، وبرز من الفلسطينيين بطلٌ عِمْلاقٌ مخيف

هو (جالوت) استطاع داود أن يقتله بحَجَر أطلقه من مِقلاع، ثم قطع رأسه بعد ذلك، وأخذها ليفخر بانتصاره في الجنوب، ومرَّ بها على أورشليم. ومنذ هذا الوقت بدأت شَعبية داود في الاتساع حتى بات الملك شاؤول يحقد عليه ويدبر الأمر لاغتياله دون جَدْوى[1].

وأخيراً تعرَّض شاؤول لهزائم ساحقة ومتعددة من (الفلسطينيين)، انتهت بأن انتحر[2] على أحد الجبال على أثر معركة فاشلة، وأصبح داود بعده مَلِكاً. فأراد أن يترك الشمال إلى نقطة حصينة أكثر توسطاً من حيث الموقع، فوجد مطلبه هذا في (مدينة اليبوسيين) أورشليم، فهي قريبة من ديار سِبط يهوذا وهم عشيرة

---

(١) هذا ما تزعمه أسفار اليهود، والحق أن شاؤول الذي يسمّيه القرآن الكريم (طالوت) مَلِكٌ اصطفاه الله لبني إسرائيل، وأيَّده بالعلم والقوة، فكيف يقع الحسد والتآمر من مَلِكٍ مُصْطَفًى من الله؟!

(٢) وهذا زعم آخر من مزاعم اليهود على الملك المُصطفى من الله (طالوت) وغير بعيد أن يكون الرجل قد استشهد مجاهداً، لكن اليهود سمَّوا الشهادة انتحاراً!!

داود، وهي وعِرة المسالك للقادم من الأردن أو من البحر أو من الشمال على السواء، وهي حصينة غير مكشوفة للغُزاة، ثم إنَّها بعد كل هذا في وسط عشائر فلسطينية قديمة يبدو أنهم كانوا أكثر ميلاً إلى المسالمة من أهل الشمال.

## استيلاء داود على القدس من اليبوسيين:

بدأ داود بالاستيلاء على جبل صهيون، وكانت فيه قلعة أماميَّة لليبوسيِّين يدافعون منها عن القدس، وكانوا يسمُّون جبل صهيون بالمنشآت القائمة عليه (المدينة الفوقانية) بالنسبة لهضبة الحَرَم (جبل مُوريا) التي كانوا يسمونها (المدينة التحتانية). استولى داود إذن على (المدينة الفوقانية) وحصّنها وجعلها قاعدة لحكمه، ولمّا كانت أسرته هي سِبط يهوذا، فمنذ هذا الوقت بدأ الإسرائيليون يُسمَّوْن باليهود أيضاً، ولمّا كان داود، على طريقة أمراء بني إسرائيل ورؤسائهم في العصور القديمة، وعلى طريقة الكثير من الحكام القدماء، يستمدُّون سلطتهم من «الله» فقد جعلوا صهيون مقر السلطة الدينية

والسياسة والعسكرية جميعاً. ولم يجد غُلاة المتعصبين من اليهود في العصر الحديث تسمية أكثر سِحراً في آذان فقراء اليهود وبسطائهم من (الصهيونية)، وما تقترن به من قوة داود وشدة شكيمته، وأُبَّهة سليمان وبهاء عظمته وفخامته على عرشه الأسطوري العجيب، فاختاروها اسماً وشعاراً.

## الصخرة التي بنى عليها داود مذبحاً للرب؟

ظل داود يضغط على اليبوسيين، ويضايقهم في جبلهم (مُوريا)، ويريهم صنوف الإذلال، وهم يرحلون تاركين له ديارهم حتى لم يَبْقَ إلا مسطح القمَّة ـ مكان المسجد الأقصى وقبة الصخرة ـ ملكاً لليبوسي (آرونا) يتخذه جرناً ومِرْبضاً لماشيته، فاشتراه منه داود بما فيه من المواشي، وقالوا في عَنعنات شفوية يهودية لا يقوم عليها أي دليل: إنَّ داود جعل من الصخرة التي على الهضبة مَذْبحاً للربِّ. وصاغوا حول ذلك أساطير لا تكاد تنتهي، حتى قالت بعض نصوص التلمود (توسفتا ـ يوما / ٨٤،٨): «إنَّ الله تعالى خلق الأرض ابتداء من هذه

الصخرة»، وقال أحد أحبارهم وهو إليعازر البابلي: «إنَّ الصخرة هي أصْلُ خَلْق الأرض، وإنَّ صهيون هو سُرَّة العالم، وهو كامل الجمال والبهاء» (التلمود البابلي ـ يوما/ ٥٤).

وجاء في كتاب (الزوهر) وهو من كتب التصوُّف اليهودي المشهورة: «إنَّ يعقوب نام على الصخرة وهو منطلق من بيت أبيه (إسحق)، بينما المعروف أنه نام في (بيت إيل) قرب نابلس. ولكن هذا التحريف يهدف إلى نقل قدسية (بيت إيل) المجاورة لنابلس، والتي ظل اليهود السامريون على وفائهم لها كقِبلة ليعقوب، إلى أورشليم.

* * *

والحقُّ أننا لا ندري أية صخرة يعني اليهود، فالتلمود يذكر أنَّ الصخرة التي يقدِّسونها ترتفع عن مستوى سطح الأرض ثلاثة أصابع (التلمود ـ يوما/ ٨٥ـ٣، ٤، توسفتا٨٣/ ٦، وموسى بن ميمون في كتابه «طُقُوس يوم الغفران»). بينما الصخرة الموجودة حالياً ترتفع عن مستوى سطح الأرض بنحو متر كامل، ومحيطها يناهز

العشرة أمتار، وتحتها فجوة هي بقية مغارة قديمة عمقها أكثر من متر ونصف، تبدو الصخرة فوقها وكأنها معلقة بين السماء والأرض، وبين الصخرة وقاع المغارة دعامة من الخشب حتى لا تنهار.

ومن الذين شَكُّوا في أن تكون الصخرة الشريفة هي الصخرة المعنية في التلمود، الباحث الألماني «شيك» في أوائل هذا القرن، فهو يقول: «إنَّ الصخرة الحالية رُبَّما كانت على أكثر تقدير إحدى ركائز المذبح الخاص بالقرابين فقط. ولم تكن في يومٍ ما داخلة ضمن قُدُس الأقداس».

أما صخرة اليهود التي يسمونها حسب أساطير التلمود التي أشرنا إليها (إيبن هاشتيا) ـ أي حجر الأساس ـ فالله أعلم ماذا صنع بها بختنصر، وأنطيوخوس أبيفانوس، وتيتوس، وفِسبازيان، وهدريان[1]، والصليبيون، وغيرهم ممن دمروا أورشليم مراراً وتكراراً تدميراً كاملاً.

والعجيب في أمر الباحثين اليهود، وفي مقدِّمتهم

---

(١) هذه الأسماء هي لأولئك القادة والملوك الذين أنزلوا باليهود أشد العقوبات في تاريخهم القديم.

دوائر المعارف العِبرية المختلفة، ما كتبوه من المؤلفات عن القدس، أنهم إذ يؤكِّدون بدون أية حجة أن الصخرة الشريفة هي «حَجَر الأساس» المذكور في التلمود، يَنفون نفياً باتاً أن تكون كنيسة القيامة بالقدس ذات علاقة أياً كانت بجسد المسيح عليه السلام، فدائرة المعارف الإسرائيلية العبرية المنشورة في نيويورك سنة ١٩١١ م تقول في هذا الصّدد: إنَّ دفن الموتى داخل أسوار القدس كان لا وجود له إطلاقاً، وإنَّ أقرب المقابر إلى أسوار القدس هي مقابر (سامبوسكي) عند قدم جبل صهيون من الطرف الجنوبي الشرقي خارج السور مباشرة. والمقابر المذكورة تحمل اسم العائلة التي بنت فيها مدفناً كبيراً في العصر الحديث، وقد عثر فيها على مقابر قديمة أيضاً.

وأضاف كاتب البحث إلى ذلك أنه طيلة عهد الهيكل الثاني (أي من القرن الخامس قبل الميلاد إلى سنة سبعين ميلادية) لم يُدفن أحد داخل أسوار المدينة المقدسة، وبناء على ما ذكر يكون مستحيلاً في رأيه أن يكون الجسد المصلوب ـ كما يعتقدون ـ قد دُفن في هذه البقعة التي هي من صميم أورشليم وفي داخل أسوارها.

ولا نريد أن نناقش الأمر (بيزنطياً)، وإنما نشير إلى أن المسيح وأتباعه لم يتمسكوا من الشريعة القديمة إلا بالناموس الموسوي والأوامر والنواهي التي أبلغها الأنبياء، أما (التلموديات) التي لا تعدُّ ولا تُحصى فقد كانت رسالة المسيح في جوهرها ومنطوقها تنادي وتجاهر بإبطالها وتطهير العقول منها، حتى لا يخضع الشعب اليهودي خضوعاً أعمى لظلامها المُطبق، الذي تفرضه السلطة الكهنوتية اليهودية على الشعب البسيط المخدوع عن النور الحق. وما دام الأمر كذلك، فما الذي يفرض على أتباع المسيح في عشية الصلب ـ الذي يعتقدونه ـ وأيدي كَهَنَة التلمود ما تزال مُخضَّبةً بدمائه، أن يحترموا عُرفاً لا يستند إلى أمر أو نهي من الله؟ ثم إنَّ الحفائر المختلفة ما تزال كل يوم تكشف عن مَوْتى لا يُحصى عددُهم وُجدت عظامهم داخل الأسوار.

* * *

# (٥)

## مدينة داود . . بعد داود

**الملك سليمان وعنايته الفائقة بعاصمته وبناؤه القصر والهيكل وسور المدينة:**

ورث سليمانُ داودَ، وكان مِلكاً يحبُّ الفخامة ويميل إلى حل مشاكل السياسة والاقتصاد حلولاً دبلوماسية، لا يلجأ فيها إلى قوة السلاح، فصاهر جيرانه مبتدئاً بالقصر الفرعوني في مصر إذ تزوّج ابنة فرعون، ثم غيرها وغيرها من بنات الملوك والحكام المحيطين بمملكته الصغيرة.

وحاول أن يجعل عاصمة ملكه ـ أورشليم ـ لا تقل عَظَمَةً وعمراناً عن العواصم الكبرى في الشرق في زمانه، فبدأ بتشييد سور فاخر حول المدينة، ثم أخذ في بناء المعبد الكبير ـ الهيكل ـ الذي كان أبوه داود قد بدأه قبل

موته، ومع ذلك فإن الأخبار الأسطورية عن فخامة هذا الهيكل وضخامته لا يمكن أن تكون قد نَجَت من شَطحات الخيال اليهودي الحالم فجاءتنا مبالغاً فيها أشد المبالغة.

وهكذا يقول الكاتب اليهودي الأمريكي (لويس براون) في كتابه المسمى (حياة اليهود): «إن إنجازات سليمان في أورشليم، وفي مقدِّمتها قصره الملكي، كانت تبدو في عيون اليهود السذَّج من رعيته فخمة فخامة تفوق التصوُّر، مع أنها لو قورنت بالقصور الهائلة في مصر أو بابل أو الهند لَبَدَتْ ضئيلة سمجة الذَّوق»[١].

---

(١) هذا الكلام لا نوافق عليه الكاتب الأمريكي وغيره من الكتاب الذين يستهينون بمُلْك النبي الملك داود وابنه سليمان عليهما السلام، فقد أُوتيا مُلكاً عظيماً على حد تعبير القرآن الكريم، ولقد دعا سليمان ربه قائلاً: ﴿ربِّ هب لي مُلكاً لا ينبغي لأحدٍ من بعدي إنكَ أنتَ الوهاب﴾ ولقد أُعطي هذا المُلْك، ويظهر أن الكاتب الأمريكي هذا حَكَم على قصر سليمان هذا الحكم، بناء على وصف أسفار اليهود له، وهذه الأسفار قد فاتها الكثير الكثير عن فضائل النبيَّين المَلِكَيْن داود وسليمان عليهما السلام، وما آتاهما الله من مجد باذخ.

كان القصر مكوناً من عدة أبنية منفصلة: بناء للصُنَّاع، وقاعة للاجتماعات، وبَهْوٌ للعرش، والمحكمة العليا، و (حَرَمْلك) كبير يكفي لسكنى المئات من نسائه.

وكان هناك أيضاً معبد، وهو بناء صغير طوله مئة قدم وعرضه ثلاثون قدماً، موضوع فيه (تابوت العهد) ـ وهو الصندوق الذي تُحفظ فيه التوراة ـ ولا شك أن المعبد كان بالنسبة لسليمان مشروعاً أقل أهمية من القصر، كان مَقْصُورة دينيَّة في بَلاط المَلِك، ولذا لم يستغرق بناؤه أكثر من نصف الوقت الذي استغرقه بناء القصر. ولكنه مع مرور الزمن، وبعد الكَهَنة والأنبياء الذين وفدوا عليه على طول حكم أسرة داود، كان يتخذُ في خواطر اليهود مكانة، وكانت له من بَعْدُ ذكريات، ربما لم يستطع شيء آخر على هذه الأرض أن يضمَّها مثل ما استطاع هذا المعبد عليها، مع أنه كان في حد ذاته أصغر من أي معبد في أمريكا الآن، ومن كثير من كنائس الأرياف المنتشرة في أنحاء العالم. بالرغم من هذا فإنه أقوى بناء شيَّدته يد الإنسان من حيث عمق أثره وقوته[١].

---

(١) ليس مستبعداً أن يكون المسجد الذي بناه سليمان ـ وأطلق=

وما يقوله لويس براون صحيح، بل ربما كان دون الأبعاد الحقيقية لسيطرة هذا الهيكل على نفوس اليهود وخيالهم، بعد تدميره واندثاره. وحتى الآن اقترنت أورشليم به، وتقدَّست لدى اليهود من أجله، وإذا ذكر اسمها فالمراد هو أولاً وقبل كل شيء. وما كتبه الكتّاب والأحبار من شَطَحات خيالهم حول ذلك شيء تضيق عنه مئات المجلدات، بحيث كان كل اليهود في حاراتهم القذرة وأسمالهم البالية، على الثلج، وفي الوحل، يعيشون في هيكل أورشليم مع سطور التلمود ومع كتابات الأحبار، وكانت صيغة المعايدة الدائرة على ألسنتهم ـ وبخاصة في عيد الفصح ـ هي: «السَّنَةُ القادمة في أورشليم» وهو شعار استغلته الصهيونية، وكَهْرَبَتْ به أعصابهم، وأعطته كل المعاني الحربية والعسكرية الممكنة.

---

= عليه اليهود فيما بعد اسم الهيكل ـ متواضعاً، فهذه سنة الأنبياء في بناء المساجد، وكذلك كان بناء المسجد النبوي في عهد الرسول ﷺ.

## الهيكل في ذهن اليهود وشطحاتهم:

ولنذكر نموذجاً واحداً من هذه الشطحات الكهنوتية اخترناه من كتاب التصوف اليهودي (الزوهر) ٢/ ٢٢٢:

«عند خلق العالم، ألقى الله حَجَراً كريماً من عرشه العظيم في الفضاء المُظلم، فغَطَس فيه جزء من هذا الحجر وبرزت بقيته فوق السَّديم. وهذه البقية البارزة كنقطة في هذا الفضاء اللاَّنهائي بدأت تمتد في كل الاتجاهات عن يمين وشمال، وأُرسيت الدنيا عليها، ولذلك يسمى هذا الحجر (حجر الأساس).

وكان تكوين الأرض حوله على ثلاث مراحل: المرحلة الأولى عبارة عن منطقة مستديرة حول الحجر نورانية شفافة، والثانية من حولها مصنوعة من مادة أقل شفافية ولكنّها أكثر رِقَّة من الأرض، والثالثة أرض مُعْتمة يطوِّقها المحيط الذي يدور حول العالم.

وهذه المناطق الثلاث ممثَّلة في الهيكل الذي في أورشليم: فالمنطقة النورانيَّة، وهي النقطة العُظمى، عبارة عن الهيكل ومدينة أورشليم، والثانية، الأقل

شَفافِيَة، هي الأرض المقدَّسة (فلسطين)، والثالثة المُعتمة هي بقية العالم، حيث تسكن الأمم غير اليهودية من الكفَّار. أما المحيط الذي يدور بكل شيء فهو مملكة الجنِّ التي تحيط بالعالم.

ولم ترَ الدنيا قط شيئاً أجمل من ستائر تابوت العهد، وعندما أُدخل تابوت العهد إلى الهيكل صاح بآية المزامير ١٣٢/ ١٤: «هذا مستقري إلى الأبد، وهنا سوف أُقيم. وكان صوت الروح القُدُس يردِّد هذه الكلمات على مسامع إسرائيل».

ولولا الهَيْبَة التي يجب اصطناعها أمام مقدَّسات الناس جميعاً تأدُّباً واحتراماً لمشاعرهم لعبَّرنا عن رأينا بصراحة في مثل هذه الشطحات، وإن كان لا يغيب عن البال ما تهدف إليه الرواية لهذا اللون من الأدب الشعبي من تأكيد العنصرية البغيضة التي اخترعها (شعب الله المختار)، وكان أول من اصْطَلَى بنارها أيضاً، ومن تأكيد البقاء الأبدي في (أورشليم)، بينما المسكين قد عاش تائهاً غارقاً في (المنطقة المُعتمة) القريبة من (مملكة الجن) المحيطة بالأرض!! . .

## انقسام اليهود بعد سليمان ودخول الفاتحين للقدس مراراً:

وما كاد سليمان يَلْقَى ربَّه حتى حَدَثت حرب أهلية بين الأسباط وانقسمت المملكة شطرين، وأصبح الهيكل وأورشليم قِبلةً لنصف بني إسرائيل فقط.

ثم تعرَّضتْ القدس مباشرةً لهجوم الجيش المصري الفرعوني (حوالي سنة ٩٧٠ ق.م)، وهي تحت حكم (رَحَبْعام بن سليمان)، وتوالت عليها بعد ذلك الهجمات المتلاحقة: من الأدوميين في الأردن، إلى العرب، إلى الآراميين، إلى الإسرائيليين في مملكة الشمال، عندما هاجم يهوآش ملك إسرائيل أمِصْيا ملك أورشليم ويهوذا، وهَدَم أسوارها، وأخذ ما في الهيكل من الذهب والفضة والأواني، ونَهَب القصر وأخذ بعض الرهائن وعاد إلى السامرة (الملوك الثاني ١٤/ ١٤).

وتكرر الزَّحف المصري على أورشليم في حكم الفرعون نخاو، وكان ملك يهوذا يهو آحاز (حوالي ١٦٠ ق.م).

ثم انتعشت أورشليم في عهد الملك عُزَيَّا الذي حكم أكثر من نصف قرن من الزمان، وكان مهتمّاً بتحصينها، فبنى حولها أبراجاً، وحفر آباراً، وأنشأ البساتين والحدائق (أخبار الأيام الثاني ٢٦). واستمر إنشاء البوابات والتحصينات على عهد ابنه يوثام.

وتبلور الخَطَر الآشوري على القدس في عهد سنحاريب الذي كان معاصراً لحزقيا ملك يهوذا، فأخذ هذا الأخير في زيادة التحصينات بالقدس، وقام برَدْم آبار الماء التي في خارجها حتى لا ينتفع العدو بها، وكذلك الجداول الجارية منها، ودَعَم السور في المواضع المتهدمة منه، وحصَّن قلعة داود على جبل صهيون، وقام بمشروع هندسي ناجح أجرى به مياه نهر جيحون الذي يجري جنوباً خارج القدس تحت الأرض إلى داخل المدينة، وأنشأ صهاريج للماء، وهكذا استطاع أن يواجه الحصار الآشوري دون أن يضطر إلى الإذعان.

**الخراب الأول للهيكل وبناء الهيكل الثاني:**

كان بُخْتنصر ملك بابل يحاول أن يسوِّي حساباً قديماً مع فراعنة مصر، ولكنه في كل مرة يجد عقبةً ما في فلسطين تظهر له فجأة من قِبَل اليهود فيبوء بالفشل، وأخيراً (سنة ٥٨٨ق.م) هاجم القدس بعد أن كان استولى على أهم أجزاء فلسطين، ومنها غزة في أقصى الجنوب، وكان ملك يهوذا في ذلك الوقت (صدقياهو)، ولما سقطت القدس بعد مقاومة رهيبة أحرقها الجيش البابلي وخرَّبها ونهبها، وأخذ معظم أهلها أسرى إلى العراق حيث بقَوا سبعين عاماً، إلى ما بعد نجاح الإمبراطور (كورش) ملك الفرس في احتلال العراق وإسقاط الإمبراطورية البابلية.

وقد لقي جيشه بطبيعة الحال كل التسهيلات اللازمة لمهمته من قبل اليهود الموتورين المحتجزين في العراق، فسمح على الفور بعودتهم إلى فلسطين وتأسيس (وطن قومي) تحت رعايته وحمايته داخل ملكه وسلطانه، فعاد كثير منهم برئاسة يوشع بن يوصدق وزروبابل بن

شلتئيل، وبعدهما بثمانية عشر عاماً جاء عَزْرا ونَحِمْيا الذي أخذ في إعادة بناء هيكل سليمان (يقول الرواة: بصورة أقلّ فخامة) ولعل ذلك من فرط إعجابهم الخيالي بهيكل سليمان فقط.

وفي سنة ٣٣٢ ق.م احتلّ الإسكندر فلسطين وأُدخلت تحت الحكم اليوناني، ولكن أحد أحبار اليهود وهو (شمعون بن حونيو) استطاع بدبلوماسيته أن يحوز رِضا الإسكندر، وأن يظفر منه بمزيد من العناية بتجميل القدس (التلمود، يوما). وبعد موت الإسكندر استولى بطليموس الأول (سوتير) على أورشليم حوالي سنة ٣١٠ ق.م، وأخذ كثيراً من أهلها أسرى إلى الإسكندرية.

ثم زحف عليها ملك سورية أنطيوخوس السلوقي اليوناني سنة ٢٠٣ ق.م، وعاد فاستردَّها منه القائد البطلمي (سكوباس) المصري سنة ١٩٩ ق.م. والظاهر أن اليهود في المدينة كانوا أميلَ إلى حُكم السلوقيين، وقد ساعدوا أنطيوخوس على دخول القلعة، كما يقول (يوسفوس)، ومباغتة المصريِّين فيها. وبسبب ذلك خفَّف أنطيوخوس الضرائب عن يهود القدس، واهتمَّ

بعمارة الهيكل والمدينة وتدعيم حصن داود.

ويصف اليوناني أرسطياس، المعاصر لهذه الأحداث، فخامة القدس بما يبيِّن أنّها كانت مدينة كبيرة لها أسوار عليها أبراج، والخدمة الدينية في الهيكل كانت على أرفع نظام، وكان عدد السكان مئة وعشرين ألفاً. وتعوَّد اليهود بعادات اليونان، وتركوا الربَّ، وظهرت فرقة (ياسون) وأخيه (منيلاوس)، وقالا بأنّ منصب الحاخام الأكبر يجب أن يكون بالوراثة لا بالانتخاب، وحدثت فتنة كبيرة، انتهزها الحاكم السوري أنطيوخوس إبيفانس فزحف على أورشليم سنة ١٧٠ ق.م، ونهبها وذبح كثيراً من يهودها.

وبعد ذلك بعامَيْن هجم قائده أبولونيوس على المدينة مرة أخرى فأكثر فيها من القتل والتخريب، واقتحم الهيكل وأقام فيه تمثالَ أنطيوخوس، وبنى بجواره مسرحاً للتمثيل وأخذ معه رهائن من يهود القدس. فقام من أمراء المكابيِّين اليهود الحشمونيين (متتياهو) ثائراً ضد اليونان هو وأولاده الخمسة، ثم أتمَّ يهوذا المكابي هذه الثورة بطرد اليونان من الهيكل، ومن جزء كبير من المدينة سنة

١٦٥ ق.م. وواصل هذا الكفاح شمعون المكابي، ففي سنة ١٤٣ ق.م. طرد الحامية اليونانية من قلعة داود «صهيون».

وعاد اليونان بقيادة أنطيوخوس السابع (سيديتاس) في عهد يوحنا هيرقانوس المكابي، فاتَّقى هذا الأخير شرَّه بتقديم قوالب من الذهب استخرجها من قبر داود، يقول يوسفوس: (إنَّ وزنها كان ٧٥طناً)، ثم حدث نزاع على العرش بين هيرقانوس وأخيه أرسطوبولوس في داخل القدس.

## احتلال الرومان لأورشليم وفلسطين:

أثناء هذه الفتنة زحف القيصر الروماني (بومبي) على فلسطين واحتلها سنة ٦٦ ق.م، وقتل من اليهود في القدس وحدها (١٢٠٠٠)، بينما كان اليهود يخرِّبون كل شيء بأيديهم ويحرقون المدينة كلها بالنيران حتى لا ينتفع بها العدو.

وبعد مدة وجيزة كثرت الاضطرابات في أورشليم، فزحف عليها حاكم سورية الروماني (لوقيانوس

كراسوس)، ودخل الهيكل ونهبه، وكان ما فيه من الذهب والفضة والآنية الثمينة يُقَدَّر بنحو خمسين طناً.

وزار يوليوس قيصر فلسطين، فأذن لليهود في بناء الأسوار التي كان بعضها قد تهدَّم.

وفي هذه الأثناء كان هؤلاء (الأمراء) من أواخر المكابيين ما يزالون يتنازعون على السلطة، أو ما بقي لهم منها في أورشليم، وهي سلطة أَخْذِ الزكاة من اليهود، وإدارة القضاء بينهم، وتنفيذ الأحكام الشرعية فيهم... إمارة كاريكاتورية تأخذ من اليهود الزكاة بيد وتصلبهم باليد الأخرى.

* * *

وانتهز هيرودس الأدومي فرصة هذه المنازعات وزحف على المدينة سنة ٣٧ ق.م يساعده القائد الروماني سوسيوس، فحاصراها وصَبَّا عليها قذائف المنجنيق واقتحماها وقاما فيها بمذبحة رهيبة.

وافق القيصر الروماني أُغُسْطُس على تعيين هيرودس على القدس «وكل بلاد اليهودية»، أي النصف الجنوبي

من فلسطين، فاهتم بإعادة تخطيط المدينة وتدعيم أسوارها، وتزويدها بأبراج حصينة للحراسة، لا سيما في النقطة الضعيفة استراتيجياً من المدينة وهي الغرب والشمال الغربي حيث أحياء القدس الحديثة الآن. فأقام في هذه الجهة برجاً سماه برج (هيبيوكسو) باسم واحد من أصدقائه قُتل وهو يحارب في صفوفه في إحدى المعارك، وهذا البرج هو الذي يُسمَّى خطأً الآن (برج داود). وفي أقصى الزاوية الشمالية الغربية من السور بنى حصناً في موضع حصن (البيرة) الذي أقيم بعد عودة اليهود من السبي، وكان قائماً في عهد المكابيين ثم تهدَّم، وسمّاه هيرودس حصن (أنطونيا) على اسم صديقه وحاميه أنطونيو ـ صاحب كليوباترا ـ أما تسمية (البيرة) فهي فارسية معناها القلعة، ولم تعرفها اللغة العبرية إلا تحت حكم الفرس.

وكان هذا الحصن مربّعاً طول ضلعه نحو تسعين متراً، وفي داخله قصر عليه سور مربع آخر، تقوم عليه أربعة أبراج، ثلاثة منها ارتفاعها خمسون ذراعاً، والرابع ارتفاعه سبعون ذراعاً، وهو البرج الشمالي الشرقي أقرب

هذه الأبراج إلى الهيكل، ومن أعلى هذا البرج كان جنود الاحتلال الروماني يراقبون ما يجري داخل معبد اليهود، الذي حظي من هيرودس أيضاً بالعناية فأعاد بناءه وزخرفته. وفي الجهة الجنوبية الشرقية استقر الملك المتهوِّد (موناباز) وأُمُّه المتهودة أيضاً (هيلانة)، وكانا يحكمان قبل تهوُّدهما مقاطعة أديابين في بلاد الأكراد، شمال شرقي سورية ثم تهوَّدا ولجأا إلى أورشليم، فبنيا إلى الجنوب من جبل صهيون قصوراً ومقابر في غاية الإتقان.

كان اليهود في أورشليم لا يكفُّون عن مناوشة الحامية الرومانية المعسكرة في قلعة أنطونيا، فأمر (أجريبا الأول) الموظفين الرومان بإحكام الرقابة على اليهود والتشدُّد في معاملتهم، ووَصَلَ الحقد إلى أقصاه بين الطرفين أثناء دعوة السيِّد المسيح، والفتنة التي أحدثها الكهنوت اليهودي حينئذٍ، وكان القيصر كليوديوس قد أمر ـ نكاية في اليهود ـ بوضع تمثال لنفسه في الهيكل، بقي في مكانه إلى أن مات هذا القيصر مسموماً سنة ٤٥ بعد ميلاد المسيح.

## الخراب الثاني والأخير للهيكل وأورشليم:

دأبَ اليهود على خلق المشاكل للرومان، مشاكل ومضايقات صغيرة كانت متلاحقة ومفاجئة، فقرَّر الامبراطور الروماني فِسْبازيان القضاء عليهم، وحلّ المشكلة كلها هذا الحل الجذري الدامي، فأرسل ابنه تيتوس على رأس جيش كبير للقيام بهذه المهمَّة، وبعد مؤامرات كثيرة قام بها اليهود واستعملوا فيها كل شيء، حتى النساء، في تليين عريكة تيتوس دون جدوى، تَمَّ تخريب أورشليم في ٨ ديسمبر سنة ٧٠ ميلادية وإجلاء جميع اليهود عنها، وهو (السَّبي الثاني) الذي ظلُّوا فيه من هذا التاريخ إلى سنة ١٩٤٨ م عندما أعلن حاييم وايزمان قيام (إسرائيل).

ولكن بالرغم من أنّ تيتوس قد بذل أقصى الجهد في جعل عودة اليهود إلى سُكْنى القدس أمراً مستحيلاً، فإنّ مَنْ بقي منهم في فلسطين لم يَكُفَّ عن التآمر ضد الرومان.

## إيليا كابيتولينا. . . لا أورشليم:

وفي القرن الثاني الميلادي، سنة ١٣٦، قام «بَرْكوكبا»[١]، أحد نماذج الصهيونية القديمة، بثورة مسلحة ضد الرومان، وسجل عليهم - رغم جيشهم الامبراطوري الجرَّار - انتصارات براقة في البداية، ولكن الامبراطور إيليوس هَدِرْيان قام آخر الأمر بإتمام ما بدأه تيتوس، فحاصر ما كان بقي من القدس، وهدم كل شيء في المدينة، ولم يترك فيها يهودياً واحداً، وجاء إلى مكان الهيكل فأقام عليه معبداً لجوبيتر كبير آلهة الرومان، ووضع فيه تمثالاً لهذا الإله كالتمثال القائم في معبد

---

(١) بركوكبا: أي ابن الكوكب أو النجم. ثائر يهودي، ثار على الرومان حوالي سنة ١٣٠ـ١٣٦ م وأراد طرد الرومان من فلسطين، وادّعى أنه المسيح المُخَلِّص، وأزعج الرومان وأوقع بهم، فجهز له الامبراطور هدريان جيشاً قضى عليه واستولى على القدس، ومحا كل شيء فيها وغيَّر اسمها، وقد أطلق اليهود على هذا الثائر بعد موته: اسم «بركوزبا» أي ابن الكذاب.

الكابيتول، وقرَّر تغيير كل شيء في هذه المدينة، حتى اسمها، الذي أصبح مكوناً من اسمه هو وٱسْمِ الكابيتول معبد جوبيتر الكبير، فسماها «إيليا كابيتولينا».

ومُنع اليهود من دخولها، وجُعل الموت عقوبة من يُقْدم منهم على ذلك، ثم سُمح لهم بالمجيء إليها يوماً واحداً في السنة، والوقوف على جدار بقي قائماً من السور في الجزء الغربي من المدينة، وهو الذي يسمى (حائط المبكى) ويسميه اليهود (الجدار الغربي). وظل حَظْر السكنى بالقدس قائماً على اليهود قروناً طوالاً، فقد ذكر ذلك يوزيبوس، المؤرخ المسيحي الذي زار (إيليا) ـ القدس ـ سنة ١٣٢ ميلادية، كما ذكره اليهود أنفسهم في تفاسيرهم القديمة ـ المدراش ـ (سفر الجامعة ـ قوهيلت ربا).

## دموع التماسيح على حائط المبكى:

كان الأتقياء الطيِّبون من اليهود ـ وفيهم أتقياء طيِّبون ـ يقفون على (الجدار الغربي) باكين، طالبين الرحمة من الله، والمغفرة لذنوبهم وذنوب أسلافهم،

التي بسببها دمَّر الله ملكهم مرتين: على يد بختنصر البابلي وتيتوس الروماني. أمّا كهنة السياسة الصهيونية عبر العصور فجعلوا هذا الحائط (مسمار جحا)، يتخذونه منطلقاً لكل دعوة عنصرية جديدة. ولذلك زعم بعضهم أنه بقية من سور داود، وقال آخرون: إنه جزء من حائط سليمان، ونَسَبَه البعض إلى المكابيِّين أو هيرودس، وقد قام الأثريُّون الإسرائيليون بعد حرب يونيو ١٩٦٧ م بعمل حفائر في أساس الحائط، فكان أقصى ما عثروا عليه في الحجارة التي تحت الأرض، آيتين من سفر النبي أشعيا محفورتين بخط يجعل نسبة هذه الحجارة لداود أو سليمان مستحيلة. ويرجع العثور على هذا النّص إلى الشهور السابقة لإحراق المسجد الأقصى، ولأن الكشف لم يكن دَسِماً من الناحية السياسية كما يريد الصهاينة، فقد وضعوه في (قبر السكوت) كعادتهم في كثير مما لا يريدون أن يعرفه العالم عنهم.

ولكن الذي لا شك فيه هو أن هذا الحائط جزء من سور المعبد اليهودي، وقد يرجع على أكثر تقدير إلى أيام

هيرودس، أي إلى فترة المسيح. وتُفضي إليه طريق طولها نحو ثلاثين متراً وعرضها أربعة أمتار ـ وقد نسف اليهود ذلك وعاثوا فيه منذ يونيه (حزيران) ١٩٦٧ م ـ.

وارتفاع الحائط ثمانية عشر متراً عن سطح الأرض، الستة أمتار الأولى منها مبنيَّة بحجارة مستطيلة ضخمة مثل التي يعثر عليها في أساسات السور، يُضاف إليها من فوق ١٤ سطراً من حجارة أصغر يبدو أنها قد عُلِّي بها الحائط ابتداء من عصر متأخِّر جداً هو القرن الثاني عشر الميلادي وما بعده، وأساس السُّور المطمور تحت سطح الأرض عبارة عن ١٩ سطراً من الحجارة المستطيلة الضخمة، ويمكن رؤية جزء من هذا الأساس من الكهف الملاصق للحائط من جهة الشمال، أمّا بقية السور من هذه الجهة الغربية فقد اندثرت إلاّ بعض النتوءات التي تبرز من مسافة لأخرى، وهناك ١٢ متراً من الضلع الجنوبي للسور ما تزال بارزة، وهي بقيَّة العِقْد المُقَوَّس الذي كانت فوقه القنطرة من جبل صهيون إلى الهيكل، والتقاليد اليهودية لا ترى البكاء سُنَّة عند هذا الجزء، مما يؤكد أن الأصل في هذا البكاء إنما كان على مَعْبَد

لا مملكة، وطَلَباً للمغفرة من الله، لا للعون من الولايات المتحدة الأمريكية ومع الزمن غلبت دموع التماسيح دموع الأتقياء.

* * *

وإذا كان المَبْكى أثراً يهودياً يرويه اليهود بدموعهم، فهناك قبر في الجنوب لِحَبْرٍ من أحبار اليهود الكبار هو الرِّبِّي كلونيموس التلمودي يرجمه اليهود بالحجارة تنفيذاً لوصيَّته. وتقول أسطورته: «إن طفلاً مسيحياً وُجِدَ قتيلاً، واتَّهم المسيحيون اليهودَ بقتله لأخذ دمه والاستعانة به في طقوس خبز الفصح ـ حسب الإشاعة التي تتهمهم بعجن هذا الخبز بدم إنسان غير يهودي ـ فجاء الحاخام كلونيموس وقرأ ودعا على الجثَّة الهامدة، فبُعث الصبي حياً بإذن الله، ونطق باسم قاتله وإذا به مسيحي، فندم كلونيموس على معجزته التي قام بها لمن ليسوا أهلاً لها في نظره، وكتب في وصيَّته أنه يريد أن يعاقب نفسه على ذلك بأن يمنع من وضع شاهد باسمه على قبره، وأن يرجمه من يمر بقبره لمدة مئة سنة، وإكراماً للرجل فبعض الناس يرجمه إلى اليوم».

# الفصل الثاني

# القدس بعد الفتح الإسلامي

١ـ الفتح الإسلامي لمدينة القدس في عهد الخليفة عمر بن الخطاب.

٢ـ سكن بعض اليهود للقدس زمان الأمويين والفاطميين.

٣ـ الاحتلال الصليبي للقدس، ثم استردادها على يد صلاح الدين الأيوبي.

٤ـ تكاثر اليهود في القدس في عهد المماليك والعثمانيين، وتسامح المسلمين معهم.

٥ـ أبواب مدينة القدس.

# (١)

# الفتح الإسلامي لمدينة القدس
# في عهد الخليفة عمر بن الخطاب

ظلت (إيليا كابيتولينا) محرَّمة على اليهود إلا سحابة نهار في السَّنة يذرفون فيها الدموع على حائط المبكى حتى ظَهَرَ الإسلام، واستولت جيوش عمر بن الخطاب على القدس سنة ٦٣٧ ميلادية بقيادة خالد بن الوليد وأبي عبيدة عامر بن الجراح. وفي سنة ٦٣٧ م ـ والجيش العربي يطوِّق المدينة ولا يدخلها في انتظار قدوم الخليفة ـ كان زعماء المسيحيين في داخل المدينة ينتظرون أيضاً خليفة المسلمين، ومعهم مشروع معاهدة تقضي بكل ما يريده العرب بشرط الإبقاء على الحرية الدينية للمسيحيين، واحترام المشاهد المسيحية المقدَّسة في البلد، واستمرار القرار الروماني القديم بمنع اليهود من النزول بالمدينة.

وقَبِلَ عمر الشروط كلها إلا الشرط الأخير، معتذراً بأن القرآن قد حدَّد ما لأهل الكتاب وما عليهم، وليس فيه شيء يسمح بهذا، ولكنه تعهَّد لمسيحيِّي القدس بألاَّ يدخل أحد من اليهود إلى مقدَّساتهم أو يسكن في حاراتهم.

ثم أراد أن يؤمِّن للحامية الإسلامية مكاناً تعسكر فيه بالقدس، فوجد أن سفح (صهيون) قد صار قَذِراً جداً ـ وقد أشرنا إلى أن وادي القُمامات كان يلاصقه منذ أقدم العصور ـ فصعد إلى الهَضَبة التي كان اليهود يسمُّونها جبل (مُوريا)، واختطَّ مسجداً بجانب الصخرة الشريفة، التي كان النبي محمد ﷺ إبان حياته قد أُسري به إليها، فصلى عندها، في البقعة التي أطلق عليها القرآن اسم (المسجد الأقصى)، ومن ثم عُرِجَ به في القصة المعروفة المذكورة في القرآن الكريم.

* * *

## (٢)

# سكنى بعض اليهود للقدس زمان الأمويين والفاطميين

لم يَجْرُؤ اليهود طوال أيام الخلفاء الراشدين وأوائل خلفاء الدولة الأموية على الاستيطان بالقدس، ثم سُمح لهم بذلك في أيام الخليفة عبد الملك بن مروان، الذي بنى المسجد الجامع وبنى مسجد قبة الصخرة سنة ٦٨٨ م، وكان في فَنَاء الحَرَم على أيامه عشرة من اليهود يقومون بأعمال الكنس والنظافة نظير إعفائهم من الجزية، ذكر ذلك (تاريخ مجير الدين) المخطوط بالمكتبة الوطنية بباريس.

* * *

وفي سنة ٧٠٥ م تولَّى سليمان بن عبد الملك بن مروان، فترك في دمشق أخاه الأصغر وحضر إلى القدس وهو ينوي أن يجعلها عاصمة للخلافة الإسلامية، ثم

عَدَل، وذكر مجير الدين في تاريخه أن المكلَّفين على عهده بإنارة المسجد الأقصى كانوا من الخدم اليهود، إلى أن تولَّى الخليفة عمر بن عبد العزيز (٧١٠ـ٧٢٠ م) ففصل اليهود من هذه الأعمال وجعل خدم الحرم جميعاً من المسلمين.

* * *

وفي سنة ٩٦٩ م سقطت سورية وفلسطين تحت حكم الخلافة الفاطمية بالقاهرة، واستولوا على القدس في عهد المعزّ لدين الله الذي كان مشهوراً بعطفه الشديد على الأقلّيات من أهل الكتاب وخصوصاً اليهود. فازدهرت في أيامه الطائفة اليهودية، ولكن حفيده الحاكم بأمر الله (سنة ١٠١٠ م)، قسا على المسيحيين واليهود وهَدَم بعض الأبنية المعظَّمة عندهم، حتى أنه أراد ذات مرة أن يهدم كنيسة القيامة كما يروي مجير الدين في كتابه في التاريخ.

* * *

# (٣)

# الاحتلال الصليبي للقدس ثم استردادها على يد صلاح الدين الأيوبي

وفي أواخر يوليه (أيلول) سنة ١٠٩٩ م دخل الصليبيون القدس لأول مرة بقيادة الفرنسي (جوفروا)، وأبادوا جميع المسلمين واليهود في المدينة المقدَّسة، وأحرقوا ديارهم ومقدَّساتهم، وحرَّموا عليهم دخولها، وإن كان الرحَّالة اليهودي الأندلسي (بنيامين التطيلي) يذكر في رحلته التي زار فيها القدس سنة ١١٧٠ م أنه وجد فيها قليلاً من اليهود يقيمون تحت (برج داود)، ويشتغلون صبَّاغين بتصريح من الحاكم الصليبي لقاءَ مالٍ يدفعونه له.

ويذكر رحَّالة يهودي آخر من الأندلس أيضاً هو يهودا الحريزي الأديب أنه زار القدس بعد أن استردَّها صلاح

الدين الأيوبي من الصليبيين (يوم الجمعة ٢ أكتوبر ـ تشرين الأول ـ سنة ١١٨٧ م)، فسمع عنه أنه يُكْرِم اليهود ويُحْسِن معاملتهم ويشجِّعهم على الإقامة فيها.

* * *

(٤)

# تكاثر اليهود في القدس في عهد المماليك والعثمانيين وتسامح المسلمين معهم

وظَلَّ الأمر يتأرجح عُنْفاً وتسامحاً مع اليهود بين الصليبيين والمسلمين بحسب الظروف إلى أن خلصت فلسطين للمماليك، وكان اليهود قد كَثُروا في القدس، وبدأت بينهم تنظيمات سرية تفرض عليهم الإتاوات لصالح الطائفة، وتُوقِعُ العقوبة ـ سراً ـ بمن يرفض دفع الإتاوة.

حدث مَرَّةً في حكم السلطان الملك الأشرف قايتباي ـ من المماليك البرجية (١٤٦٨ـ١٤٩٦م) ـ أنَّ أحد اليهود رفض دفع هذه الإتاوة، فوقع تحت التهديد والإرهاب، حتى أنه آثر الدخول في الإسلام، واغتاظت أمه من قسوة زعماء الطائفة عليه، فأسلمت هي كذلك، وأوقفت بيتها الواقع في الحي اليهودي ليكون مسجداً

للمسلمين، وكان مجاوراً للمعبد. فلجأ المسلمون في المدينة سنة ١٤٧٥ م إلى المحكمة الشرعية بالقدس يطلبون إجلاء اليهود من مجاورة المسجد الجديد وإزالة معبدهم، وأصدرت المحكمة حكمها في صالحهم.

ولكن تبيَّن أن الحكم لابدَّ أن يُصَدَّق عليه من المحكمة العليا في القاهرة، وفي انتظار التصديق قام المسلمون فعلاً ببعض أعمال الهدم والإزالة، ولكن السلطات العليا بالقاهرة نَقَضَتْ حكم المحكمة الشرعية بالقدس، وأفتت بأنه لا ضَيْرَ بأن يقوم مسجد للإسلام في حارة اليهود وبجوار معبدهم، وأمرت بإعادة بناء ما تهدَّم على نفقة المسلمين، ذكر هذا أحد مشاهير أحبار اليهود الذين عاصروا تلك الأحداث، وهو الرُّبِّي عوبديادي برطينورو في رسالة له من القدس، وكان معظم اليهود يسكنون في حيٍّ خاص بهم على جبل صهيون بمعزلٍ عن المسجد الأقصى وكنيسة القيامة.

* * *

في نفس هذا القرن الخامس عشر الميلادي كان العرب قد طُردوا من الأندلس، وكان الإسلام قد دخل

أوروبا من الشرق مع السلطان العثماني محمد الثاني ـ الفاتح ـ الذي استولى على القسطنطينية، ووضع بذلك نهاية للامبراطورية الرومانية الشرقية (البيزنطية).

وطَرْدُ العرب من الأندلس جَرَّ معه جالية يهودية ضخمة كانت تعيش آمنة في كنفهم، وهي التي قامت بخدمة اللغة العبرية والدين اليهودي والحفاظ عليهما وتعميق دراستهما. ووفد من هذه الجالية جمهور كبير للاستقرار في القدس، كما بدأ يَفِدُ من بيزنطة أيضاً عدد من اليهود لا يستهان به.

* * *

وفي سنة ١٥١٦ م انتهى حكم المماليك عندما سقطت القدس في يد الجيش التركي في عهد السلطان سليم الأول العثماني ومن بعدها مصر أيضاً، وبعد ذلك مباشرة كان السلطان سليمان القانوني العثماني ـ ١٥٢٠ـ١٥٦٦ ـ هو الذي يحكم الامبراطورية الإسلامية الشاسعة، وقد أمر بإعادة بناء أسوار القدس الشريف على النحو الذي نعرفه الآن.

## (٥)

# أبواب مدينة القدس

اشتمل السور الذي أمر السلطان سليمان القانوني ببنائه حول مدينة القدس على سبعة أبواب، وهي:

١ـ باب الخليل غَرْباً وهو الذي يسمُّونه أيضاً باب يافا، وكان يُسمَّى قديماً باب إبراهيم.

٢ـ باب النبي داود جنوباً، واسمه باب صهيون، وهو على جبل صهيون ملاصق لقبور ملوك آل داود.

٣ـ باب المغاربة جنوباً من منخفض الجَبَّانة (التيروبويون) ويسمّى أيضاً الباب الصغير لصغر حجمه نسبيّاً، ومن الأثريِّين من يزعم أنَّه باب القُمامة القديم، والراجح أن باب القُمامة كان إلى الجنوب أكثر، في أسفل الجبل، ومن هذا الباب تخرج جنازات الموتى لتدفن على جبل الزيتون.

٤ـ باب السِّباع شرقاً، والعرب يسمُّونه باب ساباط، والظاهر أن الكلمة تحريف (يهوشا فاط)، واليهود كانوا يسمونه قديماً باب (يهوشافاط) لأنه يُطِلُّ على الوادي المسمى بهذا الاسم.

٥ـ باب الزاهرة، شمالاً، وهو باب هيرودس، وربما كان في موضع (باب ساحة الجيش) القديم.

٦ـ باب العمود، في الشمال الغربي، ويسمُّونه باب دمشق، واليهود تسميه باب شكيم (نابلس).

٧ـ الباب الجديد، غربي باب العمود، ويسمى باب عبد الحميد، وهو أقرب الأبواب إلى كنيسة القيامة.

هذا عدا أبواب وبوابات داخل القدس نفسها مثل (باب حِطَّة) الذي يصل إليه الداخل إلى القدس من باب الزاهرة، وباب السلسلة القريب من المسجد الأقصى.

* * *

# الفَصْل الثَالِث

# خلاصة موجَزَة لِتَاريخ القدسْ

## «مدينة الله»

وبعد: فهذه جولة في تاريخ القدس الطويل تَتَبَّعْنَا فيها اليهود خاصة، فوجدنا أن المدينة كانت مقدَّسة قبل داود بألف سنة، من أيام الملك الفلسطيني مَلْكيصدق، لدرجة أن سيدنا إبراهيم التمس منه الطعام والشراب، وأن يباركه ببركة الله العليّ.

ووجدنا أن فترة أواخر حكم داود وحكم سليمان، وهي لا تعدو كلها ثلاثاً وسبعين سنة: ٣٣ لداود و٤٠ لسليمان، هي الفترة الوحيدة التي كانت المدينة والهيكل فيها مركزاً وعاصمة لليهود بقوة السلاح أولاً، وبالمسالمة والدبلوماسية ثانياً.

ووجدنا أنّه بمجرّد موت سليمان تقلّصت سلطة

القدس بأكثر من النصف، إذ كانت دولة إسرائيل في الشمال لا تعترف لا بداود ولا بسليمان ولا بخلفائهما، لا في الدين ولا في السياسة، حتى جاء الآشوريون والبابليون ووضعوا حداً لكل هذا.

ومنذ ذاك الوقت كانت أورشليم رمزاً، ولم يكن وجود اليهود فيها وجوداً مستقلاً، لا سياسياً ولا اقتصادياً ولا دولياً، وإنما كانت لهم فيها زوايا ومعابد لطقوسهم، وكان يأتي إليها حُجَّاجهم كما يذهب المصري أو المغربي أو التركي للحج في مكة المكرمة.

ووجدنا أن العرب عندما دخلوا القدس الشريف بعد الإسلام كانت المدينة خالية من اليهود منذ خمسمئة سنة أو أكثر، ومن كل أثر سياسي أو ديني لهم إلا (مسمار جحا) الذي هو حائط المَبْكى، وعلى مدى أكثر من ثلاثة عشر قرناً، كانت تحت الإدارة الإسلامية (مدينة الله) بحق، يجد فيها المسلم والمسيحي واليهودي صفاء النفس والسكينة الروحانية اللازمة للتأمُّل والعبادة.

* * *

## مدينة الله

أَلْفُ سنةٍ قَبْل داود، وألف وخمسمئة سنة بعد داود، والقدس مدينة الله، بل داود نفسه لم يكن يُسَمِّيها إلا مدينة الله، واليهود يعرفون ذلك جيداً، ويعرفون أن التلمود كان يعتبرها «مدينة مملوكة لله»، ولذلك حَرَّمت شريعته أن يمتلك فيها الإنسان بيتاً أو أرضاً أو بستاناً، أو أن يسكن أحداً في بيته بأجر، ولكنهم عند اللزوم كثيراً ما يُسْكِتون جميع الأصوات، حتى صوت داود وسليمان وأصوات الأنبياء، وحتى صوت التلمود!!.

* * *

# الفصل الـرابع
# هَيكَلُ سُلَيمَان وَهَيَاكِل أُخرَى

**١ـ هيكل سليمان**

**٢ـ الهيكل الثاني**

**٣ـ هيكل هيرودس**

**٤ـ هيكل جوبيتر (كبير آلهة الرومان)**

## (١)

# هيكل سليمان

كيف كان الهيكلُ الذي بناه سليمان؟ وكيف تَمَّ بناؤه؟ هل بقي منه شيء غير تلك الشطحات الأدبية الأسطورية التي يغصُّ بها الأدب اليهودي، الديني منه والعلماني؟ هل قامت على أنقاضه هياكل أخرى؟

أسئلة هامَّة تستوقفنا كما استوقفتْ الباحثين منذ أقدم العصور. وسنقف عندها علَّنا نجدُ بَصيصاً من نور يساعدنا على تَبَيُّنِ بعض المعالم، وعلى تصوُّر البناء في هيئته الواقعية البعيدة عن تخيُّلات الحنين اليهودي الحالم، وعن التلخيص العابر الخاطف الذي ذكرنا مثالاً له من كتابة اليهودي الأمريكي المعاصر (لويس براون).

## كيف كان الهيكل، وكيف تم بناؤه؟

جاء في الكتاب المقدس أن داود كان يريد أن يبني هَيْكلاً للربِّ في أورشليم، ولكن النبي (ناتان) أبلغه ـ من لـدُنِ الـربِّ ـ بـأن يتـرك هـذا المشـروع لابنـه سليمـان (صمويل الثاني ٧). لماذا؟ إن داودَ نفسه ليشرح سبب ذلك لابنه سليمان شرحاً له دلالته ومغزاه، حتى في العصر الحديث. وليسمع كهنة الصهيونية التوسعية في فلسطين الآن (أخبار الأيام الأول ـ٢٢): «وقال داود لسليمان:

يابني، كان في خاطري أن أبني بيتاً لاسم الربِّ إلٰهي، فكان إليَّ كلام الرب قائلاً: قد سفكتَ دماً كثيراً، وقمت بحروب كبيرة، فلن تبني بيتاً لاسمي، لأنك سفكتَ دماء كثيرة أمامي على الأرض. وهاهو ذا ابنٌ يولد لك، يكون رجل سِلْم، أسلِّمه من جميع أعدائه الذين من حوله، إذ سيكون اسمه سليمان، وسأعطي سلاماً وهدوءاً لبني إسرائيل في أيامه وهو يبني لاسمي بيتاً».

ومع ذلك فإنَّ داود أراد ـ قبل موته ـ أن يسجِّل معاونته الفعَّالة لابنه في إقامة الهيكل، فأخذ يجهز المواد اللازمة للبناء، وكان اليهود في عصره ما يزالون في بداوة بدائية، يَنْدُرُ فيهم من يعرف أصول حِرْفةٍ أو صناعة أو علم من علوم الدنيا، وسنرى أن الاعتماد على الفنيين الأجانب كان الحلَّ الوحيد الممكن أمام داود وسليمان حتى يرتفع هيكلُ الربِّ. جاء في سفر (أخبار الأيام الأول ـ٢٢):

«وأمر داود بجَمْع الأجانب الذين في أرض إسرائيل، فاتَّخذ نحَّاتين لنحت حجارة مربعة لبناء بيت الله[1]. وهَيَّأ داود حديداً كثيراً للمسامير لمصاريع الأبواب والأوصال، ونُحاساً كثيراً بلا وزن، وخشب أَرْزٍ لا يُحْصى، لأن الصَّيْدونيين والصُّوريين أتَوا بخشب أَرْزٍ كثير لداود». ثم أضاف داود وهو يخاطب ابنه في نفس

(١) بيت الله: هذا هو الاسم الصحيح للبيت الذي بدأ بناءَه داود وأتمه سليمان عليهما السلام. والقرآن الكريم يسميه (المسجد) لكن أسفار اليهود تسميه الهيكل!!

هذا الإصحاح قائلاً:

«وهاأنذا في مذلَّتي قد جهَّزْتُ لبيت الربِّ مئة ألف وَزْنَةٍ من الذهب، وألف ألف وَزْنَةٍ من الفضة، ومن النحاس والحديد ما لا وَزْن له لكثرته، وجهَّزت أخشاباً وحجارة وأنت تزيد عليها. وعندك صُنَّاع كثيرون للعمل: نحَّاتون، ونقّاشو حجر وخشب، وكل أستاذ في كل حرفة».

هذه القناطير المُقَنْطَرة من الذهب والفضة، وهذا الخشب والحديد والنحاس الذي يفوق الوزن والحصر، وهؤلاء العُمَّال المَهَرَة والأساتذة الخبراء في كل حِرْفة، قد أورثها داود لسليمان قبل أن يترك الدنيا ومَنْ فيها، فلننظر ماذا كان من أمر (بيت الربّ) وبنائه.

## أين بُنِيَ الهيكل؟

أما مكان البناء فالإجماع منعقد ـ بِناءً على عَنْعَنات شفوية يُقال إنَّها متصلة متواترة ـ على أنه الهضبةُ المُسَطَّحة التي تتوِّج جبل (مُوريا) ـ المكان الذي وَجَدَ فيه إبراهيمُ، قبل سليمان بألف سنة، الرجلَ الفلسطيني

الأصيل (مَلْكيصدق)، ملك أورشليم، يعبد الله العليّ، ويقوم بقِرى الضيوف فيقدِّم لإبراهيم الخبز والنبيذ، ثم يباركه «باسم الله العلي» أيضاً.

ظَلَّ هذا المكان فلسطينياً قُحّاً في أيدي اليبوسيين، رغم الضغط الإسرائيلي المتكرر حتى جاء داود، فوجده مُلكاً لفلاح فلسطيني يبُوسي اسمه (أرونا) أو (أورنان)، وقد جعله بَيْدراً، فاشتراه منه[1]، والظاهر أن اليبوسيين كانوا قد تعوَّدوا من رذالات النهب والاغتصاب الإسرائيلي ما جعل (أرونا) يندهش عندما وجد داود يدفع له ثمن البَيْدر، وكان قد عرض عليه أن يأخذه بلا مقابل، «فقال الملك لأرونا: لا، بل أشتري منك بثمن، فلا أحرق القرابين للرب إلٰهي مجاناً» (صمويل الثاني ٢٤).

---

(١) اشتراه منه، ولم يغتصبه. هكذا فِعْل الأنبياء الكرام، وهكذا فَعَل محمد رسول الله ﷺ حين أراد أن يبني مسجده في المدينة، اشترى بَيْدر التمر من غلامين يتيمين من بني النجار.

## عدد الصناع والعمال:

أما عدد الصُّنَّاع الذين اجتمعوا في أورشليم لينفِّذوا لسليمان المشروع الذي أوصى به أبوه داود فضخمٌ جداً يزيد على مئة وخمسين ألف عامل، والهَيْكل بناء صغير حسب أوصافه التي وردت إلينا (طوله ٣٢ متراً، وعرضه ١١ متراً، وارتفاعه ١٦٧ متراً بالتقريب)، مما يدعوننا إلى التساؤل: هل كانت كل مواد البناء التي أعدَّها داود، وهذا العدد الضخم من العمال والفنيين مخصَّصة للهيكل وحده، أم أنَّ الأمر ـ على ما يذكر (لويس براون) ـ من أنَّ الهيكل لم يظفر من ذلك إلا بالقَدْر الأقل، على حين كان الجانب الأكبر قد خُصِّص لمبانٍ أخرى أقلّ اتصالاً بتمجيد (الرب)، منها القصر الملكي لسليمان، وقصر زوجته ابنة فرعون، والصُّروح البديعة، والفيلَّات الأنيقة، التي أعدَّها لنسائه الكثيرات جداً، والأبنية الحكومية المختلفة، وحتى المعابد الوثنية التي أُقيمت خصيصاً لمن رفض التهوُّد من النساء الأجنبيات اللاتي

أحبَّهن سليمان[1] (الملوك الأول١١).

مهما يكن من شيء فإنَّ العمَّال الذين جاؤوا لتنفيذ المشروع كان معظمهم من الأجانب كما قلنا، وينقسمون حسب ما جاء في الإصحاح الخامس من سِفْر الملوك الأول إلى الفئات الآتية:

١ـ (٣٠٠٠٠) عامل لقطع الأخشاب يُكوِّنون ثلاث ترحيلات كل منها عشرة آلاف عامل، تذهب إلى لبنان فتعمل شهراً ثم تعود إلى فلسطين فتمكث شهرين هما مدة الترحيلتين الأُخْرَيَيْن، بحيث تعمل كل واحدة من التراحيل الثلاث أربعة أشهر على أربع فترات في السنة. وكان الخشب المقطوع يأتي من لبنان بحراً إلى يافا، والمذكور منه نوعان هما الأرْزُ والسَّرْو، وورد في سِفْر (أخبار الأيام الثاني ٢/ ٨) اسم غامض لنوع ثالث، ترجمه المترجمون

---

(١) بناء المعابد الوثنية لزوجات سليمان من أكاذيب أسفار اليهود، ومن ألوان الأذى الذي ألحقه اليهود بأنبيائهم الكرام، وهو عندهم كثير.

بالصَّنْدل، ومعروف أن الصَّندل لا ينبتُ في لبنان، ولعل المقصود بالكلمة العبرية ـ وهي من غريب اللغة ـ خشب الساج، وهو شجر يميل إلى الحُمرة ويُستعمل في النِّجارة، (وقد اعتمدنا في هذا التصحيح على المعجم العبري العربي «جامع الألفاظ» تأليف أبي سليمان داود بن إبراهيم الفاسي الذي يَرْجِع إلى حوالي سنة ٩٥٠م).

٢ـ (٧٠٠٠٠) حمَّال.

٣ـ (٨٠٠٠٠) حجَّار، يهيئون حجارة البناء في (مَحاجر سليمان) في الطرف الشمالي من جبل الزيتون، إلى أقصى الشرق من مدينة القدس.

٤ـ (٣٣٠٠) رُؤَساء تشغيل (عمال فنيون، «أسطوات»، ملاحظون). وعددهم في سفر أخبار الأيام الثاني، الإصحاح الثاني، مختلف إذ هو (٣٦٠٠).

٥ـ (٥٥٠) بنَّاؤون من صُوْر وجُبيل، وهما المدينتان الفينيقيتان المشهورتان في العصور القديمة بإتقان بناء الحصون والقلاع.

**البدء ببناء الهيكل في عهد سليمان ووصف أساسه:**

وفي ربيع السنة الرابعة من جلوس سليمان على العرش وضع الحجر الأساس للمشروع بعد خمسمئة سنة من خروج بني إسرائيل من مصر مع موسى، وتم البناء بعد سبع سنين، في خريف السنة الحادية عشرة من مُلْكِ سليمان أيضاً.

يقول المؤرخ اليهودي اليوناني يوسِفوس (تاريخ اليهود، الجزءالثامن، الفصل الثالث): «إنَّ سليمان قد وصل بأساس الهيكل إلى عمق سحيق، وكان هذا الأساس يتكون من مكعَّبات من حجر شديد الصلابة، يمكن أن يتحمَّل بعد إرسائه في أعماق الأرض كلَّ ثِقَل المبنى القائم عليه، والذي يزيد من ثقله كل التصميم الزخرفي الذي أعدَّه له سليمان، وهو تصميمٌ يزن مثل وزن الهيكل نفسه. وكانت حجارة الأساس هذه بيضاء، وكان طول الأساس ستين ذراعاً (٣١,٥ متر) وعرضه عشرين ذراعاً (١٠,٥ متر)، وهذه هي أبعاد الهيكل الظاهر فوق سطح الأرض حسب رواية الكتاب المقدس،

أمّا عُمْق الأساس فكان ستين ذراعاً أيضاً (٣١,٥متر) مفهوم كلام يوسِفوس أن الكتلة المحدَّدة بهذه الأبعاد كانت كلها مصمتة، مملوءة بالمكعبات الحجرية الضخمة، ولم تكن مجرد (سياج) يحيط بالأرض.

## أقيم الهيكل في داخل سور يحيط بكل جبل الهيكل

ويرجِّح كثير من الأثريِّين وفي مقدمتهم الأثري الفرنسي (دي سولسي) في كتابه (تاريخ الفن اليهودي) أنَّ الهيكل الذي بناه سليمان كان في داخل سور يحيط بكل جبل الهيكل، بدليل أن الهيكل الذي بناه اليهود بعد عودتهم من السبي البابلي في المكان نفسه، وبعد سليمان بنحو خمسمئة سنة أخرى، كان يحيط به سور أيضاً، وكذلك الهيكل الذي عمَّره هيرودس بعد ذلك بخمسمئة سنة أخرى، ثم الحَرَم الإسلامي الشريف الذي قام أخيراً، في المنطقة نفسها التي كان «مَلْكيصدق» يدعو فيها باسم الله العليّ في زمن إبراهيم.

ويبدو أن السُّور الذي كان يحيط بمنطقة الهيكل على أيام سليمان، كان مربعاً طول ضلعه مئة وثمانون متراً

(فتكون مساحة ما يحيط به السُّور نحو ثمانية أفدنة إلا ربعاً). وبهذه المناسبة يذكر الأثري الفرنسي (دي سولسي) مقاييس الحرم الإسلامي الشريف في المنطقة نفسها، وفي العصر الحديث كما قاسها هو بنفسه، وهي: الضلع الشرقي لسُّور الحرم وطوله ٣٨٤ متراً، والضلع الجنوبي طوله ٢٢٥ متراً، ثم يمتد الضلع الغربي بزاوية منفرجة وفي خط غير مستقيم، بحيث يكون الضلع الشمالي من السُور أطول بكثير من مقابله الجنوبي. وينبني على ما ذكره (دي سولسي) أن تكون مساحة الحرم الشريف أكثر بكثير من ضعف مساحة جبل الهيكل داخل أسوار سليمان، أو نحميا، أو هيرودس.

## لا دليل على أن الحرم الإسلامي بُني فوق مكان الهيكل:

هناك أيضاً أمر يستحق الانتباه، وهو أن الحَرَم الإسلامي الشريف مستطيل، واتجاهه من الشمال إلى الجنوب (في اتجاه القبلة بمكة المكرمة)، أما معبد سليمان فهو مستطيل لكن اتجاهه من الغرب إلى الشرق (نحو الشمس) وهو الاتجاه العام في المعابد القديمة في

بابل أو مصر أو غيرهما من أقطار الشرق الأدنى والأوسط. وإذن فلا يمكن التسليم بسذاجة برأي من يدَّعون أن الحَرَم يقوم تماماً على ما كان سابقاً يُسَمَّى هيكل سليمان، حتى لو سلَّمنا أن الهيكل كان في هذا الركن بالذات من الجبل، وهذا لا دليل عليه إلا العَنْعَنات التي اتَّخذت في نفوس البعض منزلة مقدَّسة لتكرارها عبر الأجيال.

## ماذا كان يوجد ضمن الهيكل؟

والذي يُستفاد من أوثق النصوص هو أن الهيكل كان يتضمن التفاصيل الآتية:

### ١ـ قدس الأقداس ومحتوياته:

غرفة مُكعبة أبعادها طولاً وعرضاً وارتفاعاً (٥, ١٠ متر). وفيها سِتار يقسمها قسمين، ففي القسم الداخلي منها (تابوت العهد)، وهو صندوق تُحفظ فيه نُسخة من التوراة مخطوطة على جِلْد أو رِقٍّ، عن يمينها وشمالها تمثالان للكروبين يملآن بقية الفراغ. وأصل الكروبين في عقيدة اليهود أنَّهما من الملائكة، وكان اثنان منهما

يحرسان أبواب الجنة بعد أن طُرد منها آدم وحواء، ثم انتقلت القصة في الفولكلور الشرقي القديم، في بابل وآشور وبلاد الحيثيين وإيران وفينيقيا وغيرها، فأصبح (الكروب) نوعاً من أبي الهول المجنَّح يحرس البناء الذي يوضع فيه، وكان شكل التمثالين الحارسين يتَّخذ أسلوب الطراز الفني للأمة والعصر.

وأغلب الظن أنّه كان في هيكل سليمان أشبه بأمثاله في المعابد الفينيقية، أي بأسلوب وَسَط بين الفنّ البابلي الآشوري في العراق والفنّ الفرعوني في مصر. وربما كان في هيكل هيرودس قد نُفِّذ بشكل أقرب إلى الفنّ التجريدي، دون تفاصيل واقعية احتراماً لنهي التوراة عن اتخاذ التماثيل المنحوتة، فكان (الكروب) أو المَلاَك الحارس يظهر بشكل كتلة وُسْطى يحفُّ بها جناحان مُدَبَّبان. ولعله من هنا جاء الاعتقاد الشعبي عند الرومان في أن اليهود يعبدون في قُدُس الأقداس صَنَماً على شكل رأس حمار، إذ بدا لهم جِسْم (الكروب) بين الجناحين كرأسِ حمار بين الأذنين الطويلتين، إذا وضَعْنَا في الحُسبان الفرق الشاسع بين ثِقل الفنّ اليهودي وتخلُّفه،

وفخامة الفنِّ الروماني ودقَّته وتفوُّقه.

وأما النصف المفتوح من قُدُس الأقداس فيحتوي في الوسط على المذبح الذهبي للقرابين، وإلى يساره منضدة تحمل الشمعدان السُّباعي الذي يُضاء في أثناء إقامة الطقـوس. ويُقـال إنـه كـان فـي هيكـل سليمـان يُضـاء باستمرار لا ينطفىء أبداً، وإلى يمين المذبح الذهبي منضدة لخبز التَّقْدُمة الذي يدخل في الطقوس اليهودية أيضاً.

**٢ـ البهو المقدس:**

وهو المكان الخاص باجتماع الناس للعبادة وإقامة الشعائر، ويفصله عن قُدُس الأقداس باب، وعلى جانبيه صُفَّت مناضد لوضع المسارج والشموع، وهو مربَّع طول ضلعه عشرة أمتار ونصف.

**٣ـ قاعة المدخل:**

وهي أول مكان يلي الباب، وليس بها أثاث ديني معيَّن، وهي التي يليها من الخارج باب الهيكل، وكان عليه عمودان أحدهما عن اليمين باسم (ياكين) أحد

أحفاد يعقوب من سِبْط شمعون، والثاني عن اليسار باسم (بوعز)، أحد أبطال سبط يهوذا القُدَماء. وعلى جانبي هذا الصحن الخارجي المكشوف الذي يقوم فيه العمودان أحواض لغسل الذبائح، ومذبح في الهواء الطلق لتصعيد القرابين التي تُحرق بالنار من هذه الذبائح، يُصعد إليه بسلَّم من عدة درجات، وفي زاويتي المبنى سُلَّمان يوصلان إلى الطوابق العليا التي بها غرف الكهنة ومرافق الهيكل. وعن يسار المذبح الخارجي (بحر النحاس) وهو حوض نحاسي كبير يحمله اثنا عشر ثوراً من البرونز.

وهكذا يكون طول المبنى كله ٣١,٥ متراً وعرضه ١٠,٥ متراً، وارتفاعه فيما عدا قُدُس الأقداس ١٥,٧٥ متراً، بينما قُدُس الأقداس سقفه منخفض نسبياً فارتفاعه كما قلنا ١٠,٥ متراً.

وكان من الداخل مُغطَّى بالنقوش المنحوتة في الحجر والخشب من أزهار ونباتات وكروبين. وكما يقول لويس براون: «لم يكن المعبد لا فخماً ولا ضخماً إلا في أعين اليهود البسطاء، الذين لم يكونوا قد وصلوا من الحضارة

إلى درجة يَطْمَحون معها في إنجازات معمارية كالتي كانت سائدة في نفس العصر في مصر الفرعونية أو بابل وآشور أو إيران أو الهند.

وقد بقي هذا الهيكل حتى خرَّبه بختنصر، فمحا أثره مَحْواً تاماً في القرن السادس قبل الميلاد. وربما دخلت حجارةٌ من أنقاضه في أبنية متأخرة، ظنَّ بعض الباحثين، بحُسْنِ نيَّة أو للمغالطة وتشويه التاريخ، أنها بقايا من إنجازات سليمان.

* * *

# (٢)

# الهيكل الثاني

## كيف تم بناؤه ومتى:

كان هَمُّ العائدين من السَّبي الذي دام سبعين سنة أن يبسطوا سلطانهم مرة أخرى على فلسطين، وأن تقوم لهم دولة، تحت وصاية (قورش) امبراطور إيران في القرن الخامس قبل الميلاد، وأن تكون هذه الدولة قَنْطرة للتوسع العسكري الفارسي في الشرق الأوسط، الذي انتهى باستيلاء قَمْبيز على مصر نفسها. وإذا كان السادة الفرس لم يُعطوا اليهود «وطناً قومياً» إلا بشروط معينة، خلاصتُها الولاء التام والتبعيَّة المطلقة لسياستهم بخيرها وشرها، فإنَّ اليهود أرادوا أن يعيدوا بناء أورشليم، وتشييد هيكل سليمان، حتى تكون هذه الواجهة أمام الناس تعميةً على التبعية التي رضخوا لها صاغرين. ولقد

حاولوا جاهدين أن يبنوا الهيكل الثاني على المخطط نفسه الذي بُني عليه الهيكل الأول، هيكل سليمان، وانتهى البناء في عهد (دارا الأول) الفارسي.

كان الذين عادوا من السَّبي نحو أربعين ألف يهودي أو يزيدون قليلاً، وكان على رأسهم (يوشع بن يوصدق) و(زروبابل بن شلتئيل)، فبدأا ببناء مذبح للمُحْرَقات في الهواء الطلق على جبل الهيكل الذي كان وقتها خراباً، وفي اليوم الأول من الشهر السابع من عودة اليهود من بابل إلى فلسطين كانت الطقوس تقام أمام هذا المذبح.

ثم لما لَحِق (عزرا) و(نَحِمْيا) بالعائدين إلى فلسطين من اليهود، بدأت أعمال البناء والتحصين وإقامة أسوار أورشليم تتخذ شكل الإنجاز النشيط، رغم بعض العقبات التي كانت تقيمها الحكومة الفارسية من حين لآخر، ورغم مقاومة غير منظمة قام بها أمراء حَوْران وعمَّان والجزيرة العربية والفلسطينيين المتمركزين في أشدود (سفر نحميا، الإصحاح الرابع وما بعده).

**كيف انتهى أمره بالدمار والزوال:**

وهذا الهيكل الثاني أيضاً انتهى أمره بالدمار التام بعد إقامته بخمسة قرون على يد تيتوس الروماني. يقول يوسفوس في كتابه (حرب اليهود) ـ الجزء الخامس، الفصل الرابع، الفقرة الثالثة ـ: «وكانِ تيتوس كلما وجد الجنود الرومان قد فرغوا من قتل جميع الناس في المنطقة التي يسيطرون عليها، أمرهم أن يخرِّبوا أورشليم ومَعْبَدَها وأن يَقْلبوها ظَهْراً على عَقِب، فيما عدا الأبراج العالية التي كان يحرص على بقائها كشواهد على ماقام به من التدمير».

وهكذا امَّحت معالم هذا الهيكل أيضاً إلا بقايا نادرة، مع ملاحظة أنه عند وصول تيتوس كان هيرودس قبله بنحو قرن من الزمان، قد أدخل تعديلات وتغييرات على الهيكل الثاني، وعلى تخطيط المدينة نفسها، كانت وحدها ـ وبدون هَدْم أو تدمير ـ كفيلة بجعل الوصول إلى التخطيط المعماري المبدئي للهيكل الثاني أمراً يكاد مستحيلاً، بالرغم من كل المحاولات التي أراد الباحثون

اليهود أن يخرجوا منها بمخطط مِعْماري دقيق مستمد من عَنْعَنَات التلمود، ومنهم الأثري اليهودي (أيزنشتاين) مثلاً.

وأما ما جاء من جعل الصخرة الشريفة هي نَواة قُدُس الأقداس فقد بَيَّنَّا الشكوك القوية التي تحوم حول هذا، وأولها ما ذكرناه من الاختلاف الشديد بين صخرة قُدُس الأقداس وصخرة المعراج النبوي المبارك من حيث الحجم والارتفاع عن الأرض.

وانطلاقاً من هذا المخطط التلمودي، ومع الوصف الذي أورده المؤرخ يوسفوس وغيره، نجدنا مضطرين إلى أن نسجل مرحلة ثالثة متطوِّرة جداً من الهندسة الدينية اليهودية في حالة معبد أورشليم إبّان ظهور المسيح.

* * *

(٣)

## هيكل هيرودس

وقد استفاد بعمق من العمارة اليونانية الرومانية، وكادتْ تختفي منه الملامح الدالَّة على أصله اليهودي تماماً، وهذا الهيكل هو الذي دمره تيتوس ومحاه من الوجود سنة ٧٠ ميلادية، وحائط المَبْكى كان على الأرجح جزءاً من جداره الغربي. واليهود يحرصون على تسميته حتى الآن «الجدار الغربي».

* * *

## (٤)

# هيكل جوبيتر (كبير آلهة الرومان)

على أثر الثورة التي قام بها في أورشليم ضد الحكم الروماني الزعيم اليهودي (بركوكبا)، جاء الامبراطور هدريان ـ في أوائل القرن الثاني الميلادي ـ وأزال كل شيء يهودي في أورشليم حتى اسم المدينة كما قلنا، وعلى أنقاض الهيكل بَنَىٰ مَعْبداً رومانياً لكبير الآلهة (جُوبيتر)، وأقام تمثالاً لهذا الإلٰه وآخر للإلاهة (فينوس)، وجعل هذا الصَّرح على جبل أورشليم أشبه بمعبد الكابيتول الواقع على أحد جبال روما السبعة، ولذا أعطاه اسمه هو شخصياً (إيليوس) واسم (الكابيتول)، وحرَّم استعمال اسم أورشليم وأحلَّ محلَّها الاسم الروماني الذي صنعه هو (إيليا كابيتولينا)؛ حتى أصبح اسم أورشليم لفظاً تاريخياً يُطلق فقط على المدينة التي

كانت في هذا المكان على عهد الملوك والأنبياء من بني إسرائيل.

وظلّت المدينة تسمّى (إيليا) ولا يسكنها اليهود حتى الفتح الإسلامي في القرن السابع الميلادي، حيث كانت المنطقة الوثنية التي أنشأها هَدِرْيان قد خُرِّبت، وجاء ثاني الخلفاء الراشدين عمر بن الخطاب فأنشأ مسجداً بسيطاً لجنده، هو نَواة الحَرَم الشريف والمسجد الأقصى، بعد أن كان الإسلام قد كرَّس تلك البقعة المباركة، بوحي قرآني، وبمعجزة الإسراء والمعراج.

* * *

# الفهرس



## الفصل الأول

## من الحاضر إلى الماضي البعيد



## الفصل الثاني

## القدس بعد الفتح الإسلامي

## الفصل الثالث

## خلاصة موجزة لتاريخ القدس



## الفصل الرابع

## هيكل سليمان وهياكل أخرى

تُطلب جميع كتبنا من :

دار القلم - دمشق : ص.ب : ٤٥٢٣ - ت : ٢٩١٧٧

الدار الشامية - بيروت - ت : ٦٥٣٦٥٥ / ٣٦٦٦

ص.ب : ٦٥٠١ / ١١٣

---

توزع جميع كتبنا في السعودية عن طريق

دار البشير - جدة : ٢١٤٦١ - ص.ب : ٩٥

ت : ٦٦٠٨٩٠٤ / ٦٦٥٧٦٢١